مركز الدراسات والمراجعة العلمية
Center for Studies & Scientific Review

أوراق معرفية

مجلة فصلية تُعنى
بالمعرفة الدينية والثقافية

تصدر عن
العتبة العباسية المقدسة
قسم الشؤون الفكرية والثقافية
مركز الدراسات والمراجعة العلمية

العدد العشرون
شهر ذي الحجة-١٤٤٤هـ-آب ٢٠٢٣م

مركز الدراسات والمراجعة العلمية
Center for Studies & Scientific Review

أوراق معرفية

المشرف العام
سماحة السيد أحمد الصافي

الإشراف العلمي
السيد ليث الموسوي

رئيس التحرير
السيد عقيل الياسري

متابعة وتنفيذ
الشيخ حسن علي الجوادي

سكرتير التحرير
الشيخ حسين مناحي

التدقيق اللغوي
مصطفى كامل محمود

التصميم والإخراج الفني
علاء سعيد الأسدي

المحتويات

أوراق قرآنية

١- الآيات التي فيها إشعار بالجسمية وتأويلها/ الشيخ مقداد السيوري ١٠
٢- القراءة/ العلامة الشيخ محمد جواد البلاغي ١٥
٣- تعريف السورة وبيان أسماء .../ الشيخ علي كاشف الغطاء ١٩
٤- الأمثال القرآنية وانسجامها مع البيئة/ الشيخ جعفر السبحاني ٢٣

أوراق فكرية

١- الإمامة/ الشيخ المفيد ٢٨
٢- تعلم علم الكلام/ الشهيد الثاني ٣٠
٣- كمال النبي الخاتمﷺ/ الفيض الكاشاني ٣٣
٤- اعتبار المروءة في العدالة وعدمها/ السيد علي الموسوي القزويني ٣٦
٥- الفتنة العقائدية/ الشيخ محمد تقي مصباح اليزدي ٤٧

أوراق علمية

١- أقل الجمع ثلاثة/ شيخ الطائفة الطوسي ٥٠
٢- الشيعة والتخصص العلمي/ العلامة الطباطبائي ٥٣
٣- المرجعية وقضايا أخرى/ فقيه أهل البيت السيد محمد سعيد الحكيم ٥٦
٤- نسبة العمل بالقياس لابن الجنيد بقلم العلامة السيد منير الخباز ٦٢
٥- ما هو التقليد ولماذا نقلد؟/ السيد محمد باقر السيستاني ٦٤

اوراق تاريخية

١- فائدة غديرية/ الشيخ محمد بن علي الكراجكي ٦٨
٢- الغلاة/ السيد محمد رضا السيستاني ٧٣

٣- عدد أنصار المهدي عجل الله فرجه / السيد محسن الأمين ٧٦
٤- مسلم بن عوسجة/ العلامة الشيخ محمد السماوي ٧٨
٥- حصاد الدرس/ خالد محمد خالد ٨٢

أوراق اجتماعية

١- الدعاء جوهر العبادة/ الشيخ محمد مهدي الآصفي ٨٦
٢- تسخير الله التجار لجلب الطعام/ الشيخ المولى النراقي ٨٨
٣- أصول العلاج عند الخلقيين/ الشيخ محمد أمين زين العابدين ٨٩
٤- حقوق الزوج/ السيد مهدي الصدر ٩٥
٥- طرائف من المجتمع الياباني ٩٨

أوراق ثقافية

١- مصادر المعرفة بين الغيب والشهادة/ الشيخ عبد الهادي الفضلي ١٠٣
٢- جابر بن حيان/ زكي نجيب محمود ١٠٨
٣- مقدمة كتاب الكافي/ د. حسين علي محفوظ ١١٣
٤- الشعر الحسيني ١١٧
٥- حق الصدقة والهدي / الامام زين العابدين عليه السلام ١٢٠

الورقة الأولى

ممن نأخذ العلم؟

تحكي لنا الأيام الماضية صورة أيامنا الحالية في تعاطي العلم والمعرفة، حيث كانت الناس لا يعتنون بمصدر علمهم وممن يأخذون العلم، في الوقت الذي كانت فيه نخبة المجتمع تذهب نحو التثبت في اخذ العلم من مصدره الصحيح، وقد ثقف وعلّم أئمة اهل البيت عليهم السلام وفق هدي القرآن الكريم النّاس على ان يهتموا بطرق تحصيل العلم والتبصر في شأن ممن يؤخذ منهم الدين، ولنا في ذلك شواهد كثيرة نبدؤها من القرآن الكريم.

١- ورد في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾، ويتضح من الآية حسب تفسير شيخ الطائفة انه خطاب من الله تعالى للمؤمنين بانهم لا يثقون بالفاسق الخارج عن طاعة الله تعالى الى معصيته، في حال اخبر هذا الفاسق بخبر مهم يلزم من الانسان المؤمن التثبت والتبين من نقل الفاسق وعدم المبادرة الى العمل بمضمونه[1].

٢- عن زيد الشحام، عن أبي جعفر عليه السلام: في قول الله: ﴿فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ﴾ قال: قلت: ما طعامه؟ - قال: «**علمه الذي يأخذه ممن يأخذه**»[2].

٣- عن علي بن المسيب قال: قلت للرضا عليه السلام: «شقتي بعيدة، ولست أصل إليك في كل وقت،

---

(١) التبيان في تفسير القرآن: الشيخ محمد بن الحسن الطوسي، ج٩، ص٣٤٣.

(٢) المحاسن، أحمد بن محمد بن خالد البرقي، ج ١، ص ٢٨٠.

فممن آخذ معالم ديني؟ قال: **من زكريا بن آدم القمي المأمون على الدين والدنيا**».

٤- قلت لأبي الحسن الرضا عليه السلام: جعلت فداك لا أكاد أصل إليك لأسألك عن كل ما أحتاج إليه من معالم ديني، أفيونس بن عبد الرحمن ثقة آخذ عنه ما أحتاج إليه من معالم ديني فقال: «**نعم**»[1].

واذا تأملنا في هذه الشواهد نجدها واضحة في ضرورة التثبت في اخذ المعارف ولا سيما التي ترتبط بالدين، ومع ظهور وسائل التواصل وسهولة انتشار المعلومات بين الناس صار من اللازم الأكيد أهمية التوقف والاحتياط في قبول آراء او اقوال المدعين في هذه المواقع قبل التثبت والاحتياط بل ربما يفضل التوقف وعدم الانجرار وراء بعض الأشخاص المعروفين في هذه المواقع حتى في المعلومات البديهية او الواضحة التي يطرحونها فقد يعجب المرء بالمداومة والاستمرار على متابعة هؤلاء ومن ثم يجني من اعجابه اتباعهم في بثهم الفتنة او الانحراف او الإشكالات وما شابه ذلك.

ان العلاج الصحيح لهذه الإشكالية متوفر وسهل ويسير ولكن يحتاج من المرء الجدية والعزم، ويكمن هذا العلاج بالرجوع الى اهل العلم الموثوق بهم وبتحصيلهم ومستوى وعيهم واحتياطهم، وتأتي هذه المجلة بأوراقها المعرفية نافذة للاطلاع على العلم والمعرفة من حياضها النقية الصافية اذ لا تشوبها الشوائب ولا يعكر صفوها معكر، فخذ من هذا العدد الجديد أيها القارئ اللبيب واستغني به عن غيره.

(١) بحار الانوار: العلامة الشيخ محمد باقر المجلسي، ج٢، ص٢٥١.

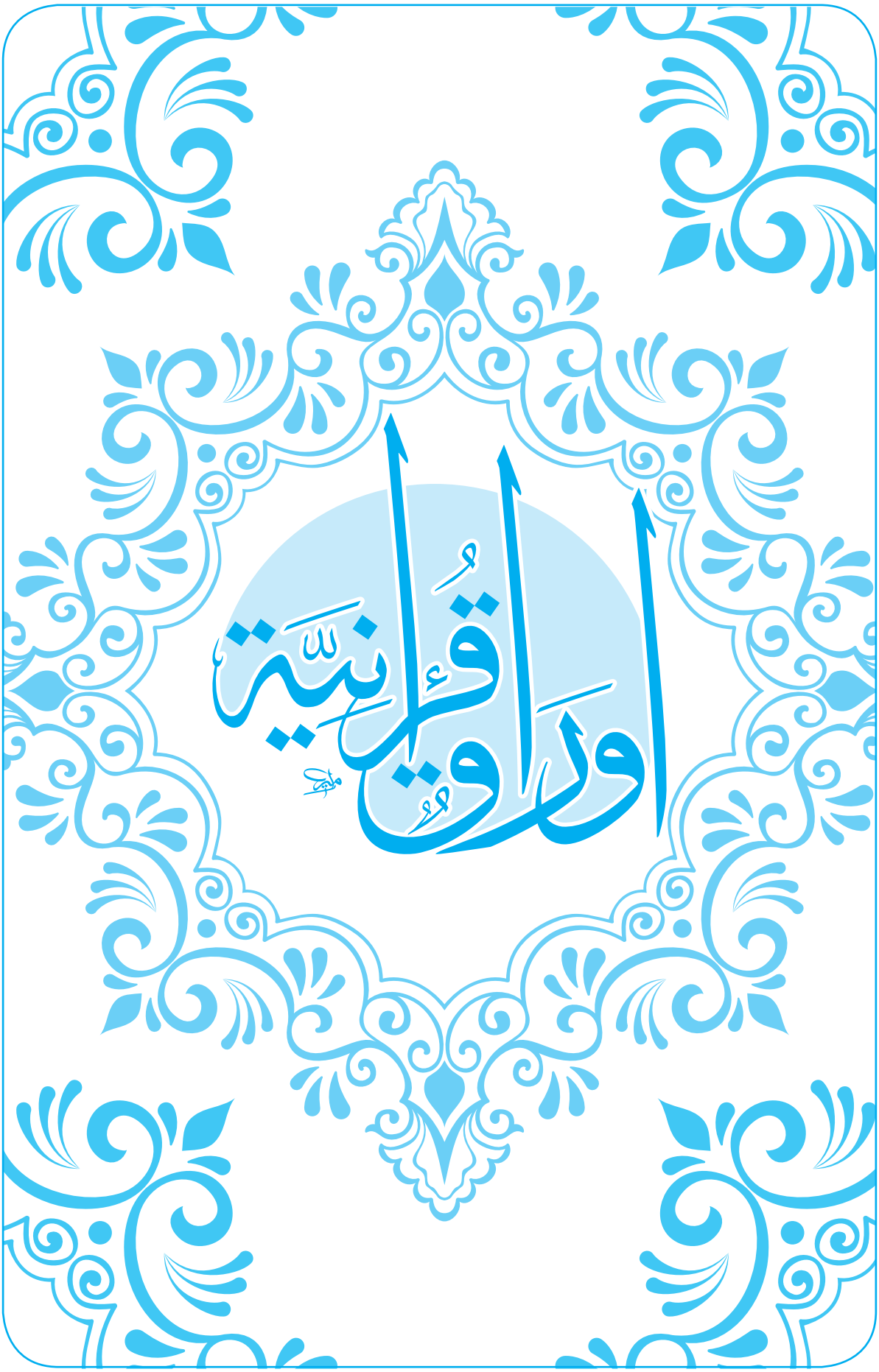
اوراد قرآنیه

الآيات التي فيها إشعار بالجسميّة وتأويلها

الشيخ مقداد بن عبد الله السيوري

أ- ما يدلّ على الوجه، وهو قسمان:

الأوّل: قوله تعالى: ﴿ وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ﴾[1] أضاف الوجه إلى نفسه، وإضافة الشيء إلى نفسه محال، فيكون جزأه، وكذا قوله: ﴿ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ ﴾[2] وقوله: ﴿ أَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ الله ﴾[3].

الثاني: قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ الله ﴾[4]، وكذا: ﴿ إِلاَّ ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَى ﴾[5] وغير ذلك.

والجواب عن الأوّل: ليس المراد بالوجه العضو، وإلّا لزم أن يفنى جميع الجسد، ويبقى الوجه، بل ظاهره أنّه الموصوف بالجلال والإكرام، ولهذا قرئ برفع «ذو»، ولا شكّ أنّ الموصوف

(١) سورة الرحمن: الآية ٢٦.
(٢) سورة القصص: الآية ٨٨.
(٣) سورة البقرة: الآية ١١٥.
(٤) سورة الإنسان: الآية ٩.
(٥) سورة الليل: الآية ٢٠.

بالجلال والإكرام هو الله، فيكون كفاية عن الذات، وكذا الكلام في قوله ﴿ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ ﴾، وأمّا: ﴿ أَيْنَمَا تُوَلُّوا... ﴾ فلو كان المراد العضو، لزم حصوله في جميع جوانب العالم، ومعلوم بالحسّ خلافه، وإلّا لزم حصول الجسم الواحد في أماكن كثيرة، فيكون المراد به الذات، والمقصود به التأكيد والمبالغة، وإنّما كنّى بالوجه عن الذات؛ لأنّ المرئيّ من الإنسان في الأغلب ليس إلّا وجهه، وبوجهه يتميّز عن غيره، فكأنّه العضو الذي به يتحقّق وجوده، وأيضاً: أنّ المقصود من الإنسان ظهور آثار عقله وحسّه وفهمه وفكره، ومعلوم أنّ معدن هذه القوى هو الرأس، ومظهر آثارها هو الوجه، وأيضاً: لاختصاصه بمزيد الحسن واللطافة والتركيب العجيب والتأليف الغريب، وظهور ما في القلب من الأحوال عليه، فحسن الإطلاق.

وعن الثاني: أنّه ليس المراد العضو؛ لأنّه قديم عندهم، والقديم لا يراد حصوله؛ لأنّ الشيء الذي يراد معناه يراد حصوله ودخوله في الوجود، وذلك في القديم الأزليّ محال، بل المراد: الرضا، وإنّما كنّى به عن الرضا؛ لأنّ الإنسان إذا مال قلبه إلى الشيء أقبل بوجهه عليه، وإذا كرهه أعرض بوجهه عنه.

ب- ما يدلّ على العين: كقوله: ﴿ وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا ﴾[1]، ﴿ وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي ﴾[2]، ﴿ وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا ﴾[3].

والجواب: لا يمكن إجراء ذلك على ظاهره، وإلّا لزم كون العين آلة لتلك الصنعة في الأُولى، وأن يكون موسى مستقراً على العين، ملتصقاً بها مستعلياً عليها، وأيضاً: للزم إثبات أعين في الوجه الواحد، وهو قبيح.

فيكون المراد غير ذلك، وهو الحمل على شدّة العناية والحراسة، ووجه حسن هذا المجاز أنّ من عظمت رعايته لشيءٍ، واشتدّت

(١) سورة هود: الآية ٣٧.
(٢) سورة طه: الآية ٣٩.
(٣) سورة الطور: الآية ٤٨.

عنايته به كثر نظره إليه.

ج- ما يدلّ على اليد: وقد وردت تارةً بصيغة الإفراد، كقوله: ﴿يَدُ اللهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾[1]، ﴿يَدُ اللهِ مَغْلُولَةٌ﴾[2]، وتارةً بصيغة التثنية، كقوله: ﴿لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾[3]، وقوله: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾[4]، وتارةً بصيغة الجمع، كقوله: ﴿مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا﴾[5].

والجواب: أنّ اليد يعبّر بها مجازاً عن أُمور:

منها: القدرة، فيقال: يد السلطان فوق يد الرعيّة، أي قدرته، ووجه حسن هذا المجاز أنّ كمال حال هذا العضو إنّما يظهر بالقدرة، فلمّا كان المقصود القدرة أُطلق اسم اليد على القدرة.

ومنها: النعمة: لأنّ إعطاء النعمة باليد، فيكون إطلاق اسم السبب على المسبّب.

ومنها: أن يذكر لفظ اليد صلةً للكلام وتوكيداً، يقال: «يداك أوكتا وفوك نفخ»، ويقرب من قوله تعالى: ﴿فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةً﴾[6] و﴿بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ﴾[7].

إذا عرفت هذا، فالمراد بالأُولى: أنّ قدرة الله غالبة على قدرتهم، وبالثانية: النعمة، ويدلّ عليه أنّه كلام اليهود، فإمّا أنْ يكونوا مقرّين بإثبات الخالق، أو منكرين، فإن كان الأوّل امتنع أنْ يقال: خالق العالم مغلول مقيّد، فإنّه لا يقوله عاقل، وإنْ كان الثاني لم يكن لذلك الكلام فائدة، فلم يبق إلّا أن يكون المراد النعمة، لاعتقادهم أنّ نعمة الله محبوسة عن الخلق، ممنوعة عنهم.

وأمّا قوله: ﴿خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾[8]، فنقول: للعلماء فيه قولان:

الأوّل: أنّ اليدين صفتان قائمتان بذاته تعالى، يحصل بهما التخليق

(١) سورة الفتح: الآية ١٠.
(٢) سورة المائدة: الآية ٦٤.
(٣) سورة ص: الآية ٧٥.
(٤) سورة المائدة: الآية ٦٤.
(٥) سورة يس: الآية 71.
(٦) سورة المجادلة: الآية ١٢.
(٧) سورة الأعراف: الآية٥٧.
(٨) سورة ص: الآية ٧٥.

على وجه التكريم والاصطفاء، كما في حقّ آدم عليه السلام؛ لأنّ قوله: ﴿ خَلَقْتُ بِيَدَيَّ ﴾ يشعر بالعليّة للسجود، فلو كان المراد القدرة، لكانت علّة السجود في جميع الخلق، ولأنّها مذكورة بالتثنية، والقدرة واحدة، لأنّ فيها إشعاراً بأنّ آدم مخصوص بذلك وأنّ الحكم منفي عن غيره، وفي هذا نظر؛ أمّا أوّلًا: فلأنّه لو كان التخليق باليدين يوجب التكريم ومزيد الاصطفاء، لكان تخليق البهائم والأنعام بالأيدي يوجب رجحانها على آدم، لقوله في حالها: ﴿ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَامًا ﴾[1]، وأمّا ثانياً: فلأنّه لا يدلّ على حصول العدد، بدليل قوله تعالى: ﴿ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةً ﴾[2]، وأمّا ثالثاً: فلأنّ التخصيص بالذكر لا يدلّ على نفي الحكم عمّا عداه.

الثاني: أنّ المراد القدرة، وإنّما ثنّاها بياناً لكثرة العناية بآدم عليه السلام، في تكوينه وإيجاده، فإنّ الإنسان إذا أراد المبالغة في إصلاح بعض المهمّات وتكميلها، يقول:

هذا عملته بيدي، ومن المعلوم أنّ التخليق مع هذا النوع من العناية ما كان حاصلًا في حق غير آدم عليه السلام.

وأمّا ﴿ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ ﴾[3]، فالمراد: النعمة؛ لأنّه ورد جواباً عن قول اليهود، وقد بيّنّا وجه ذلك، والتثنية عبارة عن كثرة النعم، وشمولها للخلق، وقيل: المراد نعمتاه الظاهرة والباطنة، أو نعمتا الدنيا والآخرة.

د- ما يدلّ على اليمين، كقوله: ﴿ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ ﴾[4]، وقوله: ﴿ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ﴾[5].

والجواب: أنّ اليمين عبارة عن القوّة والقدرة، بدليل أنّه سمّي الجانب الأيمن باليمين؛ لأنّه أقوى الجانبين، وسمّي الحلف باليمين؛ لأنّه يقوّي عزم الإنسان على الفعل والترك.

(١) سورة يس: الآية ٧١.
(٢) سورة المجادلة: الآية ١٢.
(٣) سورة المائدة: الآية ٦٤.
(٤) سورة الزمر: الآية ٦٧.
(٥) سورة الحاقة: الآية ٤٥.

فعلى هذا، المراد: السماوات مطويّات بقدرته، وأمّا قوله: ﴿لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ﴾، أي: لأخذنا بيمين ذلك الإنسان، كما يقال: أخذت بيمين الصبيّ إلى المكتب، أو يكون يمين الآخذ، فيكون المراد أخذنا منه بالقوّة والقدرة.

هـ- ما يدلّ على القبضة، كقوله تعالى: ﴿وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾[1].

والجواب: ظاهر الآية يدلّ على أنّ الأرض قبضة، وذلك محال لوجوه:

١- أنّ الأرض محتوية على النجاسات، فكيف يقول العاقل إنّها قبضة إله العالم.

٢- أنّ القرآن دالّ على أنّ الأرض مخلوقة، وقبضة الخالق لا تكون مخلوقة.

٣- أنّ الأرض تقبل الاجتماع والافتراق، والعمارة والخراب، وقبضة الخالق لا تكون كذلك، فإذن لابدّ من التأويل، وهو أنّ الأرض في قبضته.

ثم إنّ القبضة قد يُراد بها احتواء الأنامل على الشيء، وقد يراد بها كون الشيء في قدرته وتصرّفه وملكه، يقال: البلد في قبضة السلطان، والمراد هنا هذا المعنى.

و- ما يدلّ على الجنب، كقوله تعالى: ﴿يَا حَسْرَتَا عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللهِ﴾[2].

والجواب: قيل: المراد من الجنب الحقّ، والسبب في حسن هذا المجاز أنّ جنب الشيء إنّما سمّي حقّاً؛ لأنّه يصيّر ذلك الشيء مجانباً لغيره، فمن أتى بعمل على سبيل الإخلاص في حقّ الله، فقد جانب في ذلك العمل غير الله، فيصحّ أن يقال: إنّه أتى بذلك في جنب الله، وهذه الاستعارة معروفة معتادة في العرف.

[اللوامع الالهية]

(١) سورة الزمر: الآية ٦٧.

(٢) سورة الزمر: الآية ٥٦.

القراءة

الشيخ محمد جواد البلاغي

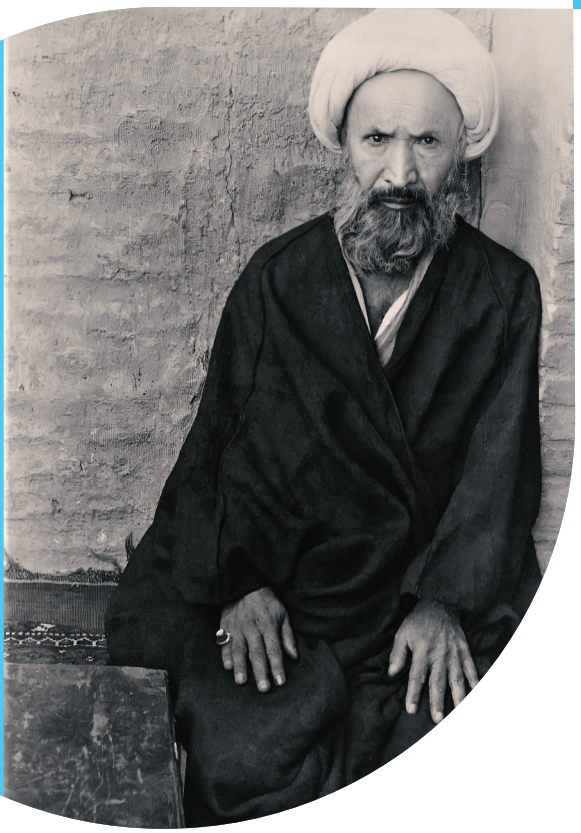

ومن أجل تواتر القرآن الكريم بين عامة المسلمين جيلاً بعد جيل استمرت مادته وصورته وقراءته المتداولة على نحو واحد فلم يؤثر شيئاً على مادته وصورته ما يروى عن بعض الناس من الخلاف في قراءته من القراء السبع المعروفين وغيرهم فلم تسيطر على صورته قراءة أحدهم اتباعاً له ولو في بعض النسخ ولم يسيطر عليه أيضاً ما روي من كثرة القراءات المخالفة له ممّا انتشرت روايته في الكتب كجامع البخاري ومستدرك الحاكم مسندة عن النبي صلى الله عليه وآله وعلي عليه السلام وابن عباس وعمر وأُبَيّ وابن مسعود وابن عمر وعائشة وأبي الدرداء وابن الزبير وانظر أقلاً إلى الجزء الأول من كنز العمال صفحة (٢٨٤ – ٢٨٩) نعم ربما اتبع مصحف عثمان على ما يقال في مجرد رسم الكتابة في بعض المصاحف في كلمات معدودة كزيادة الألف بين الشين والياء من قوله تعالى: ﴿ لِشَيْءٍ ﴾ من سورة الكهف وزيادتها أيضاً في ﴿ لَأَذْبَحَنَّه ﴾ من سورة النمل ونحو ذلك في قليل من الكلمات.

وإن القراءات السبع فضلاً عن العشر إنما هي في صورة بعض الكلمات لا بزيادة كلمة أو نقصها ومع ذلك ما هي إلّا روايات آحاد عن آحاد لا توجب اطمئناناً ولا وثوقاً. فضلاً عن وهنها بالتعارض ومخالفتها الرسم المتداول المتواتر بين عامة المسلمين في السنين المتطاولة.

وإن كلاً من القرّاء هو واحد لم تثبت

عدالته ولا ثقته يروي عن آحاد حال غالبهم مثل حاله ويروي عنه آحاد مثله. وكثيراً ما يختلفون في الرواية عنه. فكم اختلف حفص وشعبة في الرواية عن عاصم. وكذا قالون وورش في الرواية عن نافع. وكذا قنبل والبزي في روايتهما عن أصحابهما عن ابن كثير. وكذا رواية أبي عمر وأبي شعيب في روايتهما عن اليزيدي عن أبي عمر. وكذا رواية ابن ذكوان وهشام عن أصحابهما عن ابن عامر. وكذا رواية خلف وخلاد عن سليم عن حمزة. وكذا رواية أبي عمر وأبي الحارث عن الكسائي. مع ان أسانيد هذه القراءات الآحادية لا يتصف واحد منها بالصحة في مصطلح أهل السنة في الاسناد فضلاً عن الإمامية كما لا يخفى ذلك على من جاس خلال الديار. فيا للعجب ممن يصف هذه القراءات السبع بأنها متواترة. هذا وكل واحد من هؤلاء القراء يوافق بقراءته في الغالب ما هو المرسوم المتداول بين المسلمين وربما يشذ عنه عاصم في رواية شعبة. إذن فلا يحسن أن يعدل في القراءة عما هو المتداول في الرسم والمعمول عليه بين عامة المسلمين في اجيالهم إلى خصوصيات هذه القراءات. مضافاً إلى أنا معاشر الشيعة الإمامية قد أمرنا بأن نقرأ كما يقرأ الناس أي نوع المسلمين وعامتهم.

ولعلَّما تقول: إن غالب القراءات السبع أو العشر ناش من سعة اللغة العربية في وضع الكلمة وهيئتها نحو عليهم وإليهم ولديهم بكسر الهاء أو ضمها مع سكون الميم أو ضمهما. ونحو تظاهرون بفتح الظاء أو تشديدها. فعلى أي قراءة قرئت أكون قارئاً على العربية. ولكن كيف يخفى عليك أن تلاوة القرآن وقراءته يجب فيها وفي تحقّقها أن تتبع ما أوحي إلى الرسول وخوطب به عند نزوله عليه وهو واحد فعليك أن تتحرّاه بما يثبت به وليست قراءة القرآن عبارة عن درس معاجم اللغة.

ولا تتشبث لذلك بما روي من أنّ القرآن نزل على سبعة أحرف فإنه تشبث واه واهن.

أمّا أولاً: فقد قال في الإتقان في

المسألة الثانية من النوع السادس عشر: اختلف في معنى السبعة أحرف على أربعين قولاً وذكر منها عن ابن حيان خمسة وثلاثين. وما ذاك إلّا لوهن روايتها واضطرابها لفظاً ومعنى. وفي الإتقان أيضاً في أواخر النوع السادس عشر: وقد ظن كثير من العوام أن المراد بها القراءات السبع وهو جهل قبيح.

وأمّا ثانياً: فقد روى الحاكم في مستدركه بسند صحيح على شرط البخاري ومسلم عن ابن مسعود عن النبيﷺ: «**نزل القرآن من سبعة أبواب على سبعة أحرف زاجراً وآمراً وحلالاً وحراماً ومحكماً ومتشابهاً وأمثالاً فأحلوا حلاله**».

وروى ابن جرير مرسلاً عن أبي قلابة عن النبيﷺ: «**أنزل القرآن على سبعة أحرف آمر وزاجر وترغيب وترهيب وجدل وقصص ومثل**».

وروى ابن جرير والسنجري وابن المنذر وابن الانباري عن ابن عباس عنهﷺ: «**أن القرآن على أربعة أحرف حلال وحرام**.. الحديث».

وأسند السنجري في الابانة، عن عليعليه السلام «**انزل القرآن على عشرة أحرف بشير ونذير وناسخ ومنسوخ وعظة ومثل ومحكم ومتشابه وحلال وحرام**».

وأمّا ثالثاً: فقد جاء في روايات السبعة أحرف بأسانيد جياد في مصطلحهم ما يعرفك وهنها وإلحاقها بالخرافة، ففي رواية أحمد من حديث أبي بكرة أن النبيﷺ استزاد من جبرئيل في أحرف القراءة حتى بلغ سبعة أحرف قال يعني جبرئيل «**ككلُّها شافٍ كافٍ ، ما لم يختمْ آيةَ عذابٍ برحمةٍ ، أو آيةَ رحمةٍ بعذابٍ**».

وزاد في حديث آخر نحو قولك: تعال واقبل وهلم واذهب واسرع واعجل. ونحوه في رواية الطبراني عن أبي بكرة. وفي الإتقان اخرج نحوه أحمد والطبراني عن ابن مسعود واخرج أبو داود في سننه عن أُبَيّ عن رسول اللهﷺ: إلى قوله «**حتى بلغ سبعة أحرف**، ثمّ قال **ليس منها إلّا شاف كاف إن قلت سميعاً عليماً عزيزاً حكيماً ما لم تختم آية عذاب برحمة أو آية رحمة بعذاب**».

وفي كنز العمال فيما أخرجه احمد وابن منيع والغساني وابن أبي منصور وابو يعلى عن أُبَيّ عن النبيﷺ: «**إن قلت غفوراً رحيماً أو قلت سميعاً عليماً أو عليماً سميعاً فالله كذلك ما لم تختم آية عذاب برحمة أو رحمة بعذاب**».

واخرج ابن جرير عن أبي هريرة عنهﷺ: «**إن هذا القرآن نزل على سبعة أحرف فأقرأوا ولا حرج ولكن لا تجمعوا ذكر رحمة بعذاب ولا ذكر عذاب برحمة**».

واخرج أحمد من حديث عمر القرآن كله صواب ما لم تجعل مغفرة عذاباً أو عذاباً مغفرة.

فانظر إلى هذه الروايات المفسرة للسبعة أحرف كيف قد رخصت في التلاعب في تلاوة القرآن الكريم حسبما يشتهيه التالي ما لم يختم آية الرحمة بالعذاب وبالعكس.

وأمّا رابعاً: ففي الروايات ما يقطع سند القراءات السبع، فعن ابن الأنباري في المصاحف مسندا عن عبد الرحمن السلمي قال: كانت قراءة أبي بكر وعمر وعثمان وزيد بن ثابت والمهاجرين والأنصار واحدة.

وعن ابن أبي داود مسنداً عن أنس قال صليت خلف النبيﷺ وأبي بكر وعمر وعثمان وعلي وكلهم كان يقرأ: ﴿ **مالِكِ يَوْمِ الدِّينِ** ﴾.

وروى أيضاً أنّ أول من قرأ (ملك يوم الدين) هو مروان بن الحكم.

وأمّا خامساً: وهو فصل الخطاب: فقد روى من طرق الشيعة في الكافي مسنداً عن أبي جعفر الباقرعليه السلام: «**إنّ القرآن واحد نزل من عند واحد ولكن الاختلاف يجيء من قبل الرواة**».

وأرسل الصدوق نحوه في اعتقاداته عن الصادقعليه السلام.

وفي الكافي أيضاً في الصحيح عن الفضيل بن يسار قال: قلت لأبي عبد اللهعليه السلام: «إن الناس يقولون إن القرآن نزل على سبعة أحرف فقالعليه السلام: **كذبوا. ولكنه نزل على حرف واحد من عند الواحد**»، ويؤيد ما ذكرناه رواية السياري له أيضاً عن الباقر والصادقعليهما السلام.

تعريف السورة وبيان أسماء سور القرآن وعددها

الشيخ علي كاشف الغطاء

المراد بالسورة من القرآن عبارة عن مجموعة آيات ذات مطلع ومقطع مسماة باسم خاص مصدره: بترجمة، والمراد بالترجمة ما هو مكتوب في صدرها من عدد آيات السورة والنسبة إلى أحد الحرمين الشريفين من كونها مكية أو مدنية، وإنما سميت السورة سورة؛ لأنها تشبه سور المدينة باعتبار أنها معجزة ترد شبه الكفار وسهامهم نحو الدين الإسلامي، فهي سور للشرع الإسلامي والدين المحمدي يدفع بها شبه الكافرين عن الدين المبين، كما ان سور المدينة يدفع اعتداء المعتدين عليها. ويقال إن سورة القرآن تجمع على (سور) ولكن سور المدينة لا يجمع على ذلك وإنما يجمع على (أسوار)، وبعضهم من همز السورة فقال (سؤرة) والسؤرة هي القطعة، وعليه فيكون إطلاقها على سورة القرآن بمعنى القطعة من القرآن، والتسمية بالسورة أمر من الله عز وجل بقوله تعالى: ﴿ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّنْ مِثْلِهِ ﴾[1] وإنما سميت السور بالأسماء الخاصة باعتبار ما فيها من الأسماء البارزة، مثلا سميت سورة البقرة بالبقرة باعتبار ذكر البقرة فيها، وسميت سورة الكوثر بالكوثر باعتبار الاسم البارز فيها وهو الكوثر.

وقد حكي: أن في بعض المصاحف يكتب في ترجمة السورة هكذا، السورة التي يذكر فيها البقرة، والسورة التي يذكر فيها آل عمران وهلم جرا، وقيل إن تسمية السور بهذه الأسماء من النبي صلى الله عليه وآله، ثم انه تسمى البقرة وآل عمران والنساء

(١) وعلى هذا جرى العلامة السيد الشريف الرضي الموسوي المتوفي سنة ٤٠٦ هجرية في كتابه كتاب(حقائق التأويل في متشابه التنزيل) المطبوع بشرح العلامة الشيخ محمد رضا نجل الإمام الهادي من آل كاشف الغطاء.

والمائدة والأنعام والأعراف والأنفال مع التوبة باعتبار أن التوبة لم يفصل بينها وبين الأنفال بالبسملة، فألحقت بالأنفال وتسمى هذه السور بالسبع الطوال؛ لأنها أطول سور القرآن، وتسمى السور التي أولها سورة يونس وآخرها سورة النحل بالمثاني جمع (مثنى) مثل معاني ومعنى. وسميت مثاني؛ لأنها ثنت السبع الطوال أي تلتها وصارت بعدها، وتسمى بالسبع المثاني سورة الفاتحة وسميت بسبع؛ لأن آياتها سبع، وسميت مثاني لأنها تقرأ مرتين في الصلاة، وتسمى السور التي أولها سورة بني إسرائيل وآخرها المؤمنون بالمئين وإذا أردت رفعها قلت مئون؛ لأن آياتها تكون مائة آية أو فوق ذلك أو دونه بقليل، وتسمى السور القصار التي بعد الحواميم مبدؤها من سورة محمدﷺ إلى آخر القرآن الكريم ب- (المُفصّل) بضم الميم وتشديد الصاد مع فتحها لكثرة الفصول بين سورها بالبسملة. وتسمى بالمحكم لما قيل من إنها لم تنسخ وهذه سور المفصلات قسمها الفقهاء إلى ثلاثة أقسام: الأول: من سورة محمدﷺ إلى عم، وسموه بمطولات المفصل، والثاني: من عم إلى والضحى، سموه بمتوسطات المفصل، والثالث: من والضحى إلى آخر القرآن سموه بقصار المفصل، وتسمى السور المبدوءة (بطسم) بالطواسين والطواسيم، وتسمى السور المبدوءة بـ(الحاميم) بالحواميم وتسمى بعرائس القرآن، وعن ابن عباس (إن لكل شيء لباباً وأن لباب القرآن الحواميم)، وتسمى سورة (ألم) السجدة و(حم) السجدة و(النجم) و(اقرأ باسم ربك) تسمى هذه السور بالعزائم الأربع، وإنما سميت بذلك؛ لأن السجود فيها عزيمة واجبة لا مستحبة، وتسمى سور الحديد والحشر والصف والجمعة والتغابن والأعلى بسور المسبحات؛ لأن في فواتحهن ما يدل على التسبيح، وقيل افضل سور المسبحات سورة ﴿سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾، وتسمى سورة (الكافرون) و(الاخلاص)، (المقشقشتين)؛ لأن

القشقشة من الشيء (البرء منه) يقال: قشقش المريض من علته إذ برأ منها، والسورتان المذكورتان تبرأ قارئها من النفاق والشرك.

وتسمى سورة الفلق والناس بالمعوذتين وقد يضم إليها الإخلاص فيقال المعوذات.

وإنما قسم القرآن إلى سور؛ لأنه أشهى للنفس وأحلى لها إذ يخرج القارئ من فن إلى فن، ولأنه لا يدعو إلى الملل في قراءته؛ لأن القارئ إذا كان يرغب في قراءة شيء يسير من القرآن قرأ السور القصار، وإن رغب في قراءة الشيء الكثير قرأ السور الكبار، ولأن الآثار الشرعية والخواص للقراءة مرتبة على كل من هذه السور، فأثر قراءة سورة الأنعام غير أثر قراءة سورة الواقعة.

وفي الحقيقة ان هذا أمر يرجع إلى الله تعالى؛ إذ قد عرفت ان هذا التقسيم إلى هذه السور أمر من الله، ولم نظفر بما يوضح لنا سببه في أخبار أهل العصمة، وما ذكرناه من قبيل التخمين والحدس.

أما عدد سور القرآن فهي ١١٤ سورة على قول زيد بن ثابت، وهو القول المشهور المعروف، وعلى قول ابن مسعود (١١٣) سورة؛ لأنه جعل المعوذتين معوذة واحدة. وعند أبي وراق أيضا (١١٣) سورة؛ لأنه جعل الأنفال والبراءة سورة واحدة. وعلى قول أُبَيّ بن كعب (١١٦) سورة؛ لأنه كتب في آخر القرآن سورة (الخلع) وسورة (المحفد) أما سورة الخلع فهي:-

بسم الله الرحمن الرحيم

(اللهم انا نستعينك ونستغفرك ونثني عليك ولا نكفرك ونخلع ونترك من يعجزك).

أما سورة المحفد فهي:

بسم الله الرحمن الرحيم

(اللهم إياك نعبد ولك نصلي ونسجد واليك نسعى ونحفد ونرجو رحمتك ونخشى عذابك إن عذابك للكفار ملحق).

ولكن التحقيق أنهما ليستا

من القرآن. وروي عن متقدمي أصحابنا الإمامية، وبه صرّح الشيخان والصدوق والمرتضى، إن الضحى وألم نشرح سورة واحدة، وإن الفيل ولإيلاف قريش سورة واحدة، والمشهور بين المتأخرين من أصحابنا ومنهم المحقّق وربما كان أولهم خلاف ذلك، قال المحقّق في المعتبر بعد البحث في المسألة: ولقائل أن يقول لا نسلم انهما سورة واحدة، بل لِمَ لا يكونان سورتين وإن لزم قراءتهما في الركعة الواحدة على من ادعوا.

وقد تضمنت رواية المفضل تسميتهما بسورتين، وقال في كتاب الشرائع روى أصحابنا ان الضحى وألم نشرح سورة واحدة وكذا الفيل لإيلاف فلا يجوز إفراد إحداهما عن صاحبتها في كل ركعة، فلا يفتقر إلى البسملة بينهما على الاظهر، وقد علق صاحب المدارك على عبارة الشرائع المذكورة ما صورته: على ما ذكره المصنف (رحمة الله) من رواية الأصحاب أن الضحى وألم نشرح سورة واحدة، وكذا الفيل ولإيلاف، لم اقف عليه في شيء من الأصول ولا نقله ناقل في كتب الاستدلال، وتحقيق ذلك وتنقيحه يطلب من كتب الفقه في مبحث القراءة في الصلاة.

[الهادي فيما يحتاجه التفسير من مبادٍ]

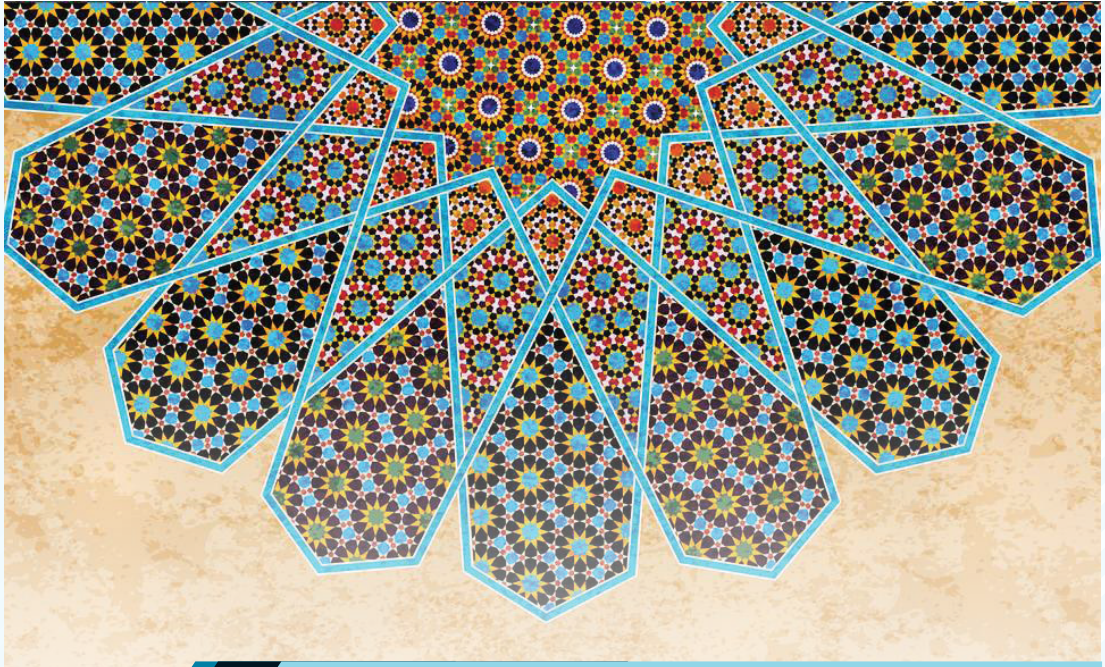

الأمثال القرآنية وانسجامها مع البيئة

الشيخ جعفر السبحاني

لا شكّ أنّ كلّ خطيب يتأثر بالظروف التي يعيش فيها، وبسهولة يمكن فرز كلام المدني عن القروي، وكلامهما عن كلام البدوي، وما ذاك إلّا لأنّ البيئة تُعدّ أحد الأضلاع الثلاثة التي تُكوّن شخصية الإنسان، ومن هذا الجانب أصبح بإمكان المحقّق الخبير بالتاريخ أن يميز الشعر الجاهلي عن الشعر في العصر الإسلامي، والشعر في العصر الأموي عن الشعر في العصر العباسي، وما هذا إلّا نتيجة انعكاسات البيئة على التراث الأدبي، ولكن القرآن بما أنّه كلامه سبحانه قد تنزّه عن هذه الوصمة؛ لأنّ الله سبحانه خالق كلّ شيء فهو منزَّه من أن يتأثر بشيء سواه.

ومع ذلك كلّه نزلت الأمثال القرآنية لهداية الناس ولذلك رُوعيَ فيها الغايات التي نزلت لأجلها، فنجد ان الطابع المكي يعلو هامة الأمثال المكية، والطابع المدني يعلو هامة الأمثال المدنية.

أمّا الأمثال المكية، فكانت دائرة مدار معالجة الأدواء التي ابتلي بها المجتمع المكي لا سيما وأنّ النبي صلى الله عليه وآله كان يجادل المشركين ويسفّه أحلامهم

ويدعوهم إلى الإيمان بالله وحده، وترك عبادة غيره، والإيمان باليوم الآخر، ففي خِضمّ هذا الصراع يأتي القرآن بأروع مثل ويشبّه آلهتهم المزعومة التي تمسّكوا بأهدابها ببيت العنكبوت الذي لا يظهر أدنى مقاومة أمام النسيم الهاديَ، وقطرات المطر، وهبوب الرياح.

يقول سبحانه: ﴿ مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللهِ أَولياء كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتّخَذَتْ بَيتاً وإِنَّ أَوهَنَ الْبُيُوتِ لَبيتُ العَنْكَبُوتِ لو كانُوا يَعْلَمون ﴾.(١)

فقد شبّه آلهتهم التي اتخذوها حصوناً منيعة لأنفسهم بخيوط العنكبوت، وبذلك صغّرهم وذلّلهم.

كما أنّه سبحانه في آية أُخرى شبّه آلهتهم بالذباب، وقال: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ ﴾.(٢)

فقد كانت قريش تعبد ٣٦٠ إلهاً يطلونها بالزعفران فيجفّ، فيأتي الذباب فيختلسه فلا يقدرون عن الدفاع عن أنفسهم، ففي هذا الصدد، قال سبحانه: ﴿ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ ﴾ أي الذباب والمدعوّ.

فأي مثل أقرع من تشبيه آلهتهم بهذه الحشرة الحقيرة. ولقد مضى على الناس منذ ضرب لهم كتاب الإسلام هذا المثل أربعة عشر قرناً، وما يزال المثل القرآني يتحدَّى كل جبروت الغزاة وعبقرية العلماء، وما يزال على الذين غرّهم الغرور بما حقّق إنسان العصر الحديث من معجزات العلم، أن ينسخوا ذلك، بأن يجتمعوا فيخلقوا ذباباً، أو يستنقذوا شيئاً سلبتهم إيّاه هذه الحشرة الضئيلة التي تقتلها ذرّة من هواء مشبع بمُبيد الحشرات، وتستطيع مع ذلك أن تسلب مخترع المبيد حياته، بلمسة هيّنة خاطفة تحمل إليه جرثومة داء

(١) سورة العنكبوت: الآية ٤١.

(٢) سورة الحج: الآية ٧٣.

مميت.[1]

هذا في مجال الردِّ على عبادتهم للأوثان والأصنام، أمّا في مجال ركونهم إلى الدنيا والإعراض عن الآخرة، يستعرض مثلاً يشير فيه إلى أنّ الدنيا ظل زائل وليست خالدة، قال سبحانه: ﴿إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَنْ لَمْ تَغْنَ بِالْأَمْسِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾[2].

هذا بعض ما يمكن أن يقال حول الأمثال التي نزلت في مكة.

وأمّا الأمثال التي نزلت في المدينة، فقد نجد فيها الطابع المدني لأجل أنّها بصدد علاج الأدواء التي ابتلي بها المجتمع يومذاك وهي الأدواء الخلقية مكان الشرك والوثنية، أو مكان إنكار الحياة الأخروية، فلذلك ركّز الوحي على معالجة هذا النوع من الأدواء بالتمثيلات التي سنشير إليها.

فقد كان النبي صلى الله عليه وآله في مهجره مبتلياً بالمنافقين الذين كانوا يبطنون الكفر ويظهرون الإسلام بغية الإطاحة بالحكومة الإسلامية الفتيّة، وفي هذا الصدد نرى أنّ الأمثال المدنية تطرّقت في آيات كثيرة إلى المنافقين وبيّنت خطورة موقفهم على الإسلام والمسلمين، فتارة يضرب الله سبحانه لهم مثلاً بالنار وأُخرى بالمطر، يقول سبحانه: ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ ۝ صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ۝ أَوْ كَصَيِّبٍ مِنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ مِنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ وَاللهُ

(١) الصورة الفنية في المثل القرآني: ٩٩، نقلاً عن كتاب (القرآن وقضايا الإنسان) لبنت الشاطي.

(٢) سورة يونس: الآية ٢٤.

مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ ﴾[1].

كان المجتمع المدني يضمُّ في طيّاته طوائف ثلاث من اليهود وهم: بنو قينُقاع، وبنو النضير، وبنو قُريظة، وقد جبلوا على المكر والحيلة والغدر، وكانوا يقرؤون سمات النبي ﷺ في توراتهم، ويمرّون عليها مرار الأُمي الذي لا يجيد القراءة والكتابة، وهذه السمة أدت إلى أن يشبّههم سبحانه بالحمار الذي يحمل أسفاراً قيّمة دون أن يستفيدوا منها شيئاً، يقول سبحانه: ﴿ مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾[2].

وأمّا المسلمون الذين عاصروا النبي ﷺ فكانوا بحاجة إلى هداية إلهية تصلح أخلاقهم، فقد كان البعض منهم ينفقون أموالهم رئاءً دون ابتغاء مرضاة الله، أو ينفقونها بالمنّ والأَذى، فنزل الوحي الإلهي بمثل خاص يبيّن موقف المنفق في سبيل الله، والمنفق بالمنِّ والأَذى أو رئاء الناس، قال سبحانه: ﴿ مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ وَاللهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾[3].

وقال سبحانه: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالمَنِّ وَالْأَذَى كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا لَا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِمَّا كَسَبُوا وَاللهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴾[4].

هذه إلمامة خاطفة لملامح الأَمثال القرآنية التي نزلت قبل الهجرة وبعدها.

[الأمثال في القرآن]

(١) سورة البقرة: الآيات ١٧ـ١٩.
(٢) سورة الجمعة: الآية ٥.
(٣) سورة البقرة: ٢٦١.
(٤) سورة البقرة: ٢٦٤.

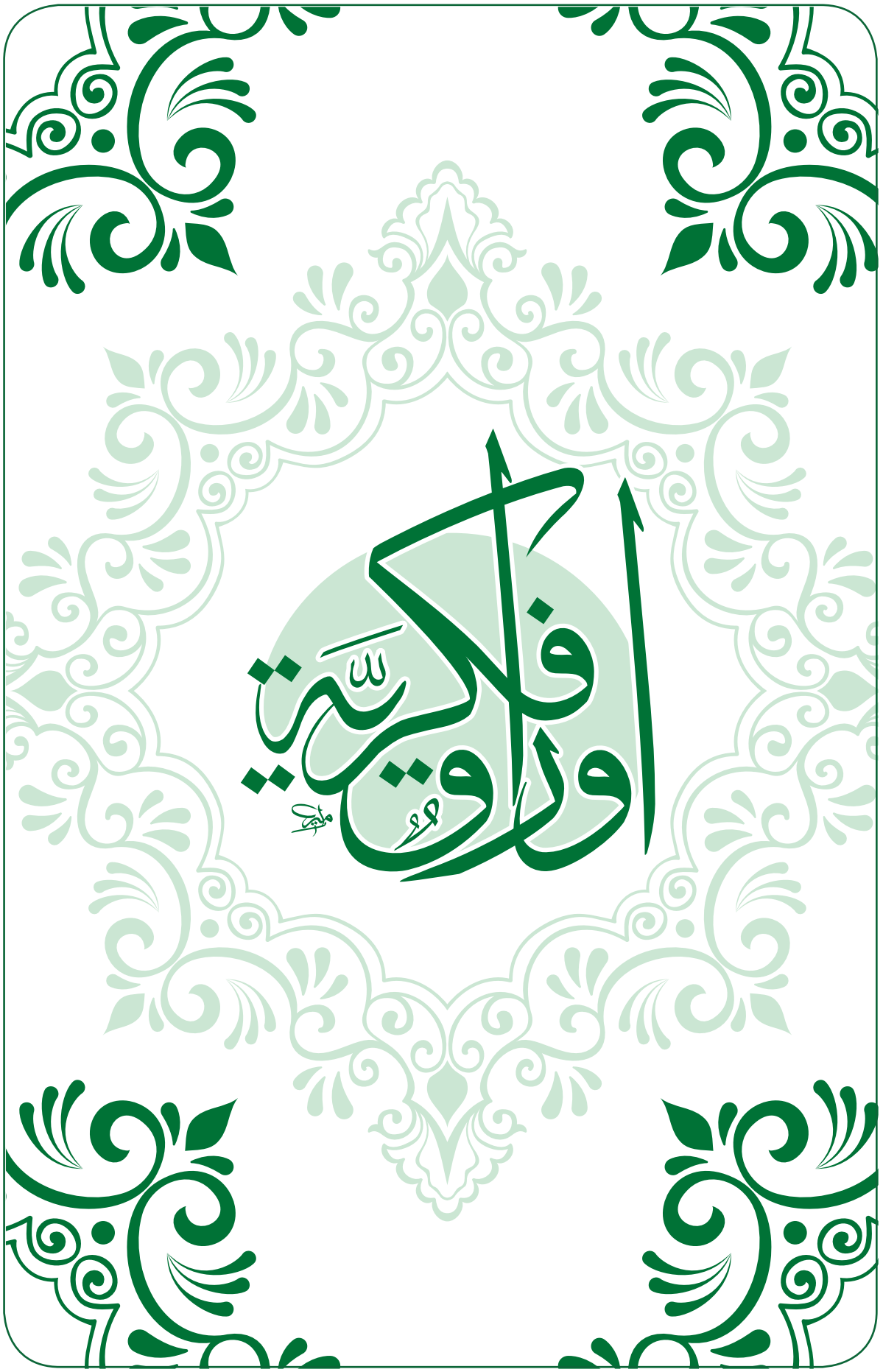
اوراق قرآنية

الإمامة

الشيخ المفيد

إن سأل سائل، فقال: أخبروني عن الإمامة، ما هي في التحقيق على موضوع الدين واللسان؟

قيل له: هي التقدم فيما يقتضي طاعة صاحبه، والاقتداء به فيما تقدم فيه على البيان.

فإن قال: فحدثوني عن هذا التقدم، بماذا حصل لصاحبه: أبفعل نفسه، أم بنص مثله في الإمامة عليه، أم باختياره؟

قيل له: بل بإيثار سبق ظهور حاله أوجب له ذلك عند الله تعالى ليزكي أعماله، فأوجب على الداعي إليه بما يكشف عن مستحقه النص عليه، دون ما سوى ذلك مما عددت في الأقسام.

فإن قال: فخبروني عن المعرفة بهذا الإمام، أمفترضة على الأنام، أم مندوب إليها كسائر التطوع الذي يؤجر فاعله، ولا يكتسب تاركه الآثام؟

قيل له: بل فرض لازم كأوكد فرائض الإسلام.

فإن قال: فما الدليل على ذلك، وما الحجة فيه والبرهان؟

قيل له: الدليل على ذلك من أربعة أوجه:

أحدها: القرآن، وثانيها: الخبر عن النبي صلى الله عليه وآله، وثالثها: الاجماع، ورابعها: النظر القياسي والاعتبار.

فأما القرآن: فقول الله سبحانه وتعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾[1] فأوجب معرفة الأئمة من حيث أوجب طاعتهم، كما أوجب معرفة

(١) سورة النساء: ٥٩.

نفسه، ومعرفة نبيه عليه وآله السلام بما ألزم من طاعتهما على ما ذكرناه.

وقول الله تعالى: ﴿يَوْمَ نَدْعُو كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ فَمَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَأُولَئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَابَهُمْ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلا﴾[1] وليس يصح أن يدعي أحد بما لم يفترض عليه علمه والمعرفة به.

وأما الخبر: فهو المتواتر عن النبيﷺ، أنه قال: «من مات وهو لا يعرف إمام زمانه، مات ميتة جاهلية»[2]، وهذا صريح بأن الجهل بالإمام يخرج صاحبه عن الإسلام.

وأما الاجماع: فإنه لا خلاف بين أهل الإسلام أن معرفة إمام المسلمين واجبة على العموم، كوجوب معظم الفرائض في الدين.

وأما النظر والاعتبار: فإنا وجدنا الخلق منوطين بالأئمة في الشرع، إناطة يجب بها عليهم معرفتهم على التحقيق، وإلّا من التسليم لهم في أخذ الحقوق منهم، والمطالبة لهم في أخذ مالهم، والارتفاع إليهم في الفصل عند الاختلاف، والرجوع إليهم في حال الاضطرار، والفقر إلى حضورهم لإقامة الفرائض من صلوات وزكوات وحج وجهاد، تكليف ما لا يطاق، ولما استحال ذلك على الحكيم الرحيم سبحانه، ثبت أنه فرض معرفة الأئمة، ودل على أعيانهم بلا ارتياب.

فإن قال: فخبروني الآن من كان الإمام بعد الرسولﷺ، والقائم في رئاسة الدين مقامه، لأعرفه فأؤدي بمعرفته ما افترض له علي من الولاء؟

قيل له: من أجمع المسلمون على اختلافهم في الآراء والأهواء على إمامته بعد النبيﷺ، ولم يختلفوا من بعد وفاته فيما أوجب له ذلك من اجتماع خصال الفضل له والأقوال فيه والأفعال: أمير المؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام.

[الافصاح في إمامة أمير المؤمنين]

---

(١) سورة الإسراء: ٧١.

(٢) كمال الدين ٢: ٤١٢، الكافي ١: ٣٠٨، غيبة النعماني: ٣٣٠، حلية الأولياء ٣: ٢٢٤، مسند أحمد بن حنبل ٤: ٩٦.

واعلم أنه علم إسلامي وضعه المتكلمون لمعرفة الصانع وصفاته العليا، وزعموا أن الطريق منحصر فيه وهو أقرب الطرق.

والحق أنه أبعدها وأصعبها وأكثرها خوفا وخطرا، ولذلك نهى النبي صلى الله عليه وآله عن الغور فيه، حيث روي أنه مر على شخصين متباحثين على مسألة، كالقضاء والقدر، فغضب صلى الله عليه وآله حتى احمرت وجنتاه[1].

وروى هارون بن موسى التلعكبري أستاذ شيخنا المفيد (قدس سر هما) عن عبد الله بن سنان قال: أردت الدخول على أبي عبد الله عليه السلام فقال لي مؤمن الطاق: استأذن لي على أبي عبد الله عليه السلام فقلت: نعم، فدخلت عليه فأعلمته مكانه، فقال عليه السلام: «**يا بن سنان لا تأذن له علي،... فإن الكلام والخصومات تفسد النية وتمحق الدين**»[2].

وعن عاصم بن حميد الحناط عن أبي عبيدة الحذاء قال قال لي أبو جعفر عليه السلام وأنا عنده: «**إياك وأصحاب الكلام والخصومات ومجالستهم، فإنهم تركوا ما أمروا بعلمه وتكلّفوا ما لم يؤمرا بعلمه حين تكلفوا علم السماء**[3]**، يا أبا عبيدة خالط الناس بأخلاقهم وزائلهم في أعمالهم، يا أبا عبيدة إنا لا نعد الرجل فقيهاً عالماً حتى يعرف لحن القول، وهو قوله تعالى: ﴿ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ ﴾**»[4].

وعن جميل بن دراج قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: «**متكلموا هذه الأمة من شرار أمتي ومن هم منهم**»[5].

---

(١) بحار الأنوار عن منية المريد: ٢ / ١٣٨، ح ٥٤.

(٢) كشف المحجة: ص ١٨ – ١٩.

(٣) في الكشف: تكلفوا علم السماء.

(٤) كشف المحجة: ص ١٩؛ بحار الأنوار عن كتاب عاصم: ٢ / ١٣٩، ح ٥٨.

(٥) كشف المحجة: ص ١٩، وراجع البحار: ٢ /

وعنه عليه السلام: «**يهلك أهل الكلام وينجو المسلمون**»[1].

وورد في موضع آخر: أن شر هذه الأمة المتكلمون. وروي أن يونس قال للصادق عليه السلام: جعلت فداك إني سمعت أنك تنهى عن الكلام تقول: ويل لأصحاب الكلام. فقال عليه السلام: «**إنما قلت: ويل لهم إن تركوا ما أقول وذهبوا إلى ما يقولون**».

أقول: يمكن أن يكون هذا إشارة إلى أنهم تركوا التشبيهات، كما عرفت الواردة في القرآن والآثار النبوية والإمامية (صلوات الله عليهم)، وعدلوا عنها إلى خيالاتهم الفاسدة، وحكاياتهم الباردة المذكورة في الكتب الكلامية.

قال سيّد المحقّقين رضي الدين علي بن طاووس قدس سره: مثل مشايخ المعتزلة في تعليمهم معرفة الصانع، كمثل شخص أراد أن يعرف غيره النار، فقال: يا هذا معرفتها تحتاج إلى أسباب:

أحدها: الحجر ولا يوجد إلّا في طريق مكة.

والثاني: الحديد وصفته كذا وكذا.

والثالث: حراق على هذه الصفة.

والرابع: مكان خال عن شدة الهواء، فأخذ المسكين في تحصيل هذه الأسباب.

ولو قال له في أول الحال إنّ هذا الجسم المضيء الذي تشاهده هو النار التي تطلبها لأراح واستراح.

فمثل هذا العلم حقيق أن يقال: إنه قد أضل، ولا يقال إنه قد هدى، أو عدل بالخلائق في معرفة الخلائق إلى تلك الطرائق الضيقة البعيدة، وضيق عليهم سبيل الحقيقة كأعدل من أراد تعريف النار المعلومة بالاضطرار استخراجها من الأخبار[2].

أقول: هذا حال الكلام الذي كان في أول الإسلام، ولا شك أنه ما كان بهذه المثابة من البحث والخصومة، فما ظنك بهذه المباحثات والخصومات الشائعة في زماننا. وليت شعري أن هؤلاء الجماعة هل لهم دليل عقلي

(١) بحار الأنوار عن البصائر: ٢ / ١٣٢ - ١٣٨.

(٢) كشف المحجة: ص ٢٠ - ٢١.

ونقلي على وجوبه واستحبابه؟ أو مجرد تقليد آبائهم وأسلافهم، على أنه وأنهم على آثار هم لمقتدون.

وأنهم هل يقرون بإيمان السابقين تكوينه أو ينكرونه؟ وهل يعترفون بإيمان العوام الغافلين عنه أو لا يعترفون؟ فإن أقروا واعترفوا فما فائدته؟ وإلّا فكيف يعاشرونهم بالرطوبات؟ مع اعتقادهم بأن عدم المعرفة بالأصول كفر، والكافر نجس. وكيف يجوز الاشتغال بالواجب مع استلزامه ترك ما هو أوجب؟ فذرهم يخوضوا ويلعبوا حتى يلاقوا يومهم الذي كانوا يوعدون.

[حقائق الايمان]

كمال النبي الخاتم صلى الله عليه وآله

الفيض الكاشاني

Yنه ما قبض الله تعالى نبيه صلى الله عليه وآله حتى أكمل دينه وأتم نعمته كما قال تعالى في أواخر عمر النبي صلى الله عليه وآله: ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا ﴾(١)، ولم يدع شيئاً مما يحتاج إليه الناس إلّا أنزله في كتابه وبينه نبيه صلى الله عليه وآله في سنته فلم يبق شيء من العلوم الاعتقادية والعملية الا ورد في كتاب أو سنة حتى أرش الخدش والجلدة ونصف الجلدة، وما كان منها يحتاج إلى بيان وحجة اتى معه بهما في أتم وجه وأبلغه من بينة وبرهان وخطابة وجدال بالتي هي أحسن، إلى غير ذلك، وبالجملة لكل طائفة ما يناسب أفهامهم ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حيي عن بينة، ولئلا تحتاج أمته إلى السالفين في شيء مما يهمهم من علم الدين، ومن لم يعتقد ذلك كذلك فهو الظان بالله وبرسوله ظن السوء، قال الله سبحانه: ﴿ مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ﴾(٢) وقال: ﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ ﴾(٣) وقال: ﴿ وَلاَ رَطْبٍ وَلاَ يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴾(٤)، وفي نهج البلاغة عن أمير المؤمنين عليه السلام في كلام له: «**أأنزل الله سبحانه ديناً ناقصاً فاستعان بهم على اتمامه؟ أم كانوا شركاء له، فلهم أن يقولوا وعليه أن يرضى؟ أم أنزل الله سبحانه ديناً تاماً فقصر الرسول صلى الله عليه وآله عن تبليغه وأدائـه؟! والله سبحانه يقول: ﴿ مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ﴾..**»،

(١) سورة المائدة: ٣.

(٢) سورة الأنعام: ٣٨

(٣) سورة النحل: ٨٩.

(٤) سورة الأنعام: ٥٩.

الحديث، ويأتي تمامه[1]، وفي (بصائر الدرجات) لمحمد بن الحسن الصفار و(الكافي) لثقة الإسلام محمد بن يعقوب بإسنادهما عن أبي جعفر عليه السلام قال: «**إن الله تبارك وتعالى لم يدع شيئاً يحتاج إليه الأمة إلّا أنزله في كتابه وبينه لرسوله صلى الله عليه وآله، وجعل لكل شيء حداً، وجعل عليه دليلاً يدلّ عليه، وجعل على مَن تعدّى ذلك الحد حداً**»[2] وبإسنادهما عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «**ما من شيء إلّا وفيه كتاب أو سنة**»[3] وبإسنادهما عنه عليه السلام قال: «**ما من أمر يختلف فيه اثنان إلّا وله أصل في كتاب الله ولكن لا تبلغه عقول الرجال**»[4]. وبإسنادهما عن سماعة عن أبي الحسن موسى عليه السلام قال: قلت له: أكل شيء في كتاب الله وسنة نبيه؟ أو تقولون فيه؟ قال: «**بلى، كل شيء في كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وآله**»[5].

(١) شرح النهج لابن ميثم: ج١، ص٣٢.
(٢) الكافي: ج١، ص٥٩.
(٣) الكافي: ج١، ص٥٩.
(٤) الكافي: ج١، ص٦٠.
(٥) الكافي: ج١، ص٦٢.

وفي (بصائر الدرجات) بإسناده عنه عن أبي الحسن عليه السلام قال قلت له: أصلحك الله أتى رسول الله صلى الله عليه وآله الناس بما يكتفون به؟ فقال: «**نعم، وما يحتاجون إليه إلى يوم القيامة**»، فقلت: وضاع من ذلك شيء؟ فقال: «**لا، هو عند أهله**»[6].

وفي الكافي بإسناده عن أبي الجارود قال: قال أبو جعفر عليه السلام: «**إذا حدثتكم بشيء فاسألوني من كتاب الله**» ثمّ قال في بعض حديثه: «**إن رسول الله صلى الله عليه وآله نهى عن القيل والقال وفساد المال وكثرة السؤال**» فقيل له: يا بن رسول الله أين هذا من كتاب الله؟ قال: «**إن الله تعالى يقول: ﴿لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ﴾، وقال: ﴿وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَامًا﴾، وقال: ﴿لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ﴾**»[7].

(٦) بصائر الدرجات، الجزء السادس، في باب أن الأئمة عندهم جميع ما في الكتاب والسنة.
(٧) هذا الحديث في باب الرد إلى الكتاب والسنة من أصول الكافي (انظر مرآة العقول:

وبإسناده عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «إنّ الله أنزل في القرآن تبيان كل شيء حتى والله ما ترك الله شيئاً يحتاج إليه العباد حتى لا يستطيع عبد يقول: لو كان هذا نزل في القرآن، إلّا وقد انزل الله فيه»[1]. وبإسناده الصحيح عنه عليه السلام قال: «كتاب الله فيه نبأ ما قبلكم، وخبر ما بعدكم، وفصل ما بينكم، ونحن نعلمه»[2].

وبإسناده عنه عليه السلام عن أمير المؤمنين عليه السلام في كلام له طويل: «فجاءهم بنسخة ما في الصحف الأولى، وتصديق الذي بين يديه، وتفصيل الحلال من ريب الحرام، ذلك القرآن فاستنطقوه ولن ينطق لكم، أخبركم عنه: إنّ فيه علم ما مضى وعلم ما يأتي إلى يوم القيامة» - الصدوق بإسناده إلى الرضا عليه السلام إنه قال في كلام له: «إن الله لم يقبض نبيه صلى الله عليه وآله حتى أكمل الدين وأنزل عليه القرآن، فيه تفصيل كل شيء وبين فيه الحلال والحرام والحدود والاحكام وجميع ما يحتاج إليه الناس كَمَلًا فقال عز وجل: ﴿ما فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾ وأنزل في حجة الوداع وهي في آخر عمره صلى الله عليه وآله: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ﴾، وأمر الإمامة من تمام - الدين، ولم يمض صلى الله عليه وآله حتى بين لامته معالم دينهم وأوضح لهم سبيله، وتركهم على قصد الحق، وأقام لهم علياً عليه السلام علماً واماماً، وما ترك شيئاً يحتاج إليه الأمة إلّا بيّنه، فمن زعم أنّ الله عز وجل لم يكمل دينه فقد ردَّ كتاب الله عز وجل فهو كافر»، الحديث[3]، إلى غير ذلك من الاخبار في هذا المعنى وهي كثيرة جدا تكاد تبلغ حد التواتر.

[الأصول الأصلية]

ج١، ص ٤٣ - ٤٢).

(١) هذا الحديث في باب الرد إلى الكتاب والسنة من أصول الكافي (انظر مرآة العقول: ج١، ص ٤٣ - ٤٢).

(٢) هذا الحديث في باب الرد إلى الكتاب والسنة من أصول الكافي (انظر مرآة العقول: ج١، ص ٤٣ - ٤٢).

(٣) انظر المجلس السابع والتسعين من مجالس الصدوق وهو المجلس الاخر، والكلام المذكور أول الحديث.

اعتبار المروءة في العدالة وعدمها

السيد علي الموسوي القزويني

إنّ المشهور فيما بين الأصحاب ولا سيّما المتأخّرين كما في الذخيرة وغيرها اعتبار المروءة في عدالة الإمام والشاهد، وعن بعضهم حكاية نقل الإجماع عليه، وعن مجمع البرهان احتمال الإجماع على اعتبارها في غير مستحقّ الزكاة والخمس، ومن القدماء اعتبرها الشيخ في المبسوط وابن إدريس في السرائر وابن حمزة في الوسيلة..

وأمّا عبارة الوسيلة فقوله: المسلم الحرّ تقبل شهادته إذا كان عدلا في ثلاثة أشياء: الدين والمروءة والحكم، فالعدالة في الدين الاجتناب عن الكبائر وعن الإصرار على الصغائر، وفي المروءة الاجتناب عمّا يسقط المروءة من ترك صيانة النفس وفقد المبالاة، وفي الحكم البلوغ وكمال العقل[1].

خلافاً لجماعة من المتأخّرين كالمحقّق في الشرائع والعلّامة في الإرشاد والمختلف وولده في موضع من الإيضاح والشهيد في زكاة الدروس فلم يعتبروها. وفي الكفاية كما عن مجمع البرهان أنّه لم أعرف دليلاً على اعتبارها، بل عن شهادات مجمع البرهان: «أنّه

(١) الوسيلة: ٢٣٠.

لم يثبت اعتبارها شرعاً ولا لغةً ولا عرفاً»[1].

ومن مشايخنا من نفى البعد عن كونه المشهور بين القدماء[2]، وربّما قيل: باعتبارها في الشاهد على أنّها كالعدالة وطهارة المولد وغيرهما شرط لقبول شهادته لا في مفهوم العدالة.

وعن العلّامة في شهادات القواعد جعلها شطراً وشرطاً؛ لأنّه أخذها في تعريف العدالة، ثمّ قال: الخامس في شرائط قبول الشهادة، وعدّ منها المروءة[3].

ويظهر اختيار هذا القول من القدماء من الكاتب؛ لأنّه قال: «إذا كان الشاهد حرّاً بالغاً مؤمناً بصيراً معروف النسب مرضياً غير مشهور بكذب في شهادة ولا بارتكاب كبيرة ولا مقام على صغيرة، حسن التيقّظ عالماً بمعاني الأقوال عارفاً بأحكام الشهادة غير معروف بحيف على معامل، ولا تهاون بواجب من علم أو عمل، ولا معروف بمباشرة أهل الباطل والدخول في جملتهم، ولا بالحرص على الدنيا، ولا بساقط المروءة، بريئاً من أهواء أهل البدع التي توجب على المؤمن البراءة من أهلها، فهو من أهل العدالة المقبولة شهادتهم»[4].

ويمكن إرجاع ما سمعت عن الشيخ وابني إدريس وحمزة إلى اختيار هذا القول بقرينة أخذهم العدالة في الأحكام المفسّرة في كلامهم بالبلوغ وكمال العقل في عدالة الشاهد، وهو بالمعنى المذكور ليس معتبراً في مفهوم العدالة إجماعاً، بل من شروط قبول الشهادة، ويحتمل كون المروءة كذلك في نظرهم.

وربّما ذكر في دليل هذا القول وجه اعتباري غير ناهض، وهو أنّ الوجه في عدم قبول شهادة من لا مروءة له؛ لأنّ طرح المروءة إمّا أن يكون لخَبل ونقصان أو قلّة مبالاة

(١) مجمع الفائدة والبرهان: ١٢ / ٣١٢.
(٢) رسالة العدالة للشيخ الأنصاري (رسائل فقهية): ١٩.
(٣) القواعد ٢: ٢٣٦ – ٢٣٧.
(٤) نقله عنه في المختلف: ٧١٧.

وحياء، وعلى التقديرين يبطل الثقة والاعتماد على قوله، أمّا الخَبل فظاهر، وأمّا قليل الحياء فلأنّ من لا حياء له يصنع ما شاء كما ورد في الخبر، والظاهر أنّ المراد ممّا ورد في الخبر ما ورد في الروايات من أنّ: «**الحياء من الإيمان**»[1] و«**لا إيمان لمن لا حياء له**»[2].

وفيه: أنّ اعتبار انتفاء الخبل والنقصان إنّما يعلم من دليل اعتبار كمال العقل، وهو شرط آخر لا دخل له في المروءة، وقلّة المبالاة في الأُمور العادية، وعدم الاستحياء من الناس في ركوب ما يخالف العادة لا يستلزم قلّة المبالاة في الأُمور الشرعيّة، ولا عدم الاستحياء من الله بركوب ما يخالف الشريعة، وخلاف المروءة إنّما ينشأ من الأوّل، وكون انتفائه معتبراً في الوثوق والاعتماد على قول الشاهد أوّل المسألة، خصوصاً مع ملاحظة كون بناء قبول الشهادة على التعبّد لا الظنّ والاطمئنان، والحياء والإيمان الواردان في الخبر يراد بهما الحياء من الله وكمال الإيمان، فيكون موردهما الخائض في المعاصي بركوب المحرّمات وترك الواجبات، فاعتبار الحياء بهذا المعنى يرجع إلى اعتبار العدالة بمعنى الحالة الملازمة للتقوى لا المروءة الزائدة عليها، وليس للقول باعتبارها في معنى العدالة إلّا عدّة روايات غير واضحة الدلالات.

منها: الخبر: «**من ألقى جلباب الحياء عن وجهه فلا غيبة له**»[3]، دلّت الرواية على جواز غيبة من ألقى جلباب الحياء عن وجهه فلا يكون عادلاً؛ لأنّ العادل ممّن لا يجوز غيبته بلا موجب.

وفيه: أنّ إلقاء جلباب الحياء كناية عن التجاهر بالفسق؛ لأنّه المجوّز للغيبة نصّاً وفتوى لا غير، وكون مخالفة المروءة موجبة للفسق ليكون إعلانه تجاهراً به أوّل المسألة، بل موضع منع، لوضوح الفرق بين

(١) الكافي ٢: ١٠٦ ح ١.
(٢) الكافي ٢: ١٠٦ ح ٥.
(٣) بحار الأنوار: ج٧٥، ص٢٣٣.

مخالفة التقوى ومخالفة المروءة في كون الأوّل موجباً للفسق والثاني موجباً لـزوال العدالة دون الفسق، واللازم من ذلك كون فاقد المروءة إذا كانت له ملكة اجتناب الكبائر واسطة بين العادل والفاسق لا أنّه فاسق؛ لأنّ الفسق خروج عن طاعة الله وليس في مخالفة المروءة من حيث هي خروج عن طاعة الله.

ومنها: قول الكاظم عليه السلام في حديث هشام: «**لا دين لمن لا مروءة له ولا مروءة لمن لا عقل له**»[1]، دلّت الرواية على نفي الدين عمّن لا مروءة له، ولا يسوغ كونه لنفي الذات للإجماع على عدم كفر من لا مروءة له فيكون لنفي الصفة وهو الكمال، وانتفاء كمال الدين عند انتفاء المروءة يلازم انتفاء العدالة، وهو المطلوب.

وفيه: أنّ مخالفة المروءة لتعلّقها بالأُمور العاديّة بمجرّدها مع المحافظة على الأُمور الدينيّة باجتناب الكبائر والصغائر على وجه الإصرار لا توجب نقصاناً في الدين، بل الموجب له إنّما هو الإخلال بالأُمور الدينية من ترك واجب أو فعل محرّم، فلا بدّ من تصرّف إمّا في المروءة بحملها على إرادة الحالة الملازمة للتقوى، أو كمال الدين المنفي بكلمة، لا بحمله على ما لا ينافي انتفاءه العدالة.

وممّا يرجّح الوجه الأوّل قوله: «**لا مروّة لمن لا عقل له**» إذ لا ينبغي أن يراد بالعقل ما يقابل الجنون، لعدم تعلّق فائدة ببيان عدم المروءة للمجنون، بل هو من باب توضيح الواضحات حينئذ، فلا بدّ وأن يراد به ما ورد في الأخبار المعتبرة المستفيضة من تفسير العقل بما عبد به الرحمن واكتسب به الجنان، وانتفاء العقل بهذا المعنى عبارة عن الإخلال بعبادة الرحمن واكتساب الجنان، وهو عبارة عن انتفاء العدالة بمعنى الحالة الباعثة على ملازمة التقوى.

ومنها: خبر ابن أبي يعفور[2]

(١) الكافي: ج١، ص١٩ ح ١٢.

(٢) الوسائل ٢٧: ٣٩١ ب ٤١ من أبواب الشهادات ح ١.

وموضع الدلالة على ما توهّم ثلاثة:

الأوّل: قوله عليه السلام: «**بالستر والعفاف**» فإنّ إطلاق الستر باعتبار حذف المتعلّق يعمّ العيوب الشرعيّة والعرفيّة.

الثاني: قوله عليه السلام: «**وكفّ البطن والفرج واليد واللسان**» فإنّ منافيات المروءة غالباً من مشتهيات الجوارح الأربع، فإطلاق كفّها عن مشتهياتها يتناول منافيات المروءة أيضاً.

الثالث: قوله عليه السلام: «**والدلالة على ذلك كلّه**»، أن يكون ساتراً لعيوبه، بناء على تعميم العيوب للعيوب العرفيّة.

وفي الجميع من المنع والضعف ما لا يخفى.

أمّا الموضع الأوّل: فلما بيّناه سابقاً من أنّ الستر هو الحياء من الله عزّ شأنه، لئلا يتّحد المدلول مع دليله، المأخوذ فيه الاستحياء من الخلق، فيختصّ بالعيوب الشرعيّة، والمتبادر من العفاف أيضاً هو الامتناع من المحرّمات.

وأمّا ما قد يقال في توجيه هذه الفقرة لتتميم الدلالة، من أنّ المراد من الستر هو العفّة، استناداً إلى، صاحب الصحاح من نقل وروده عليه في قولهم: رجل ستير، أي عفيف، فيكون المراد به ما يقابل التبرّج الوارد في باب جنود العقل والجهل من أُصول الكافي[1] المفسّر في كلام بعض محقّقي شرّاح أُصول الكافي[2] بالتظاهر بما يقبح ويستهجن في الشرع أو العرف، ولا ريب أنّ منافيات المروءة ممّا يستهجن في العرف، فهي منافية للستر والعفاف الراجعين إلى معنى واحد، وقد ذكر بعضهم في عدالة القوّة الشهوية – المسمّاة بالعفّة – أنّ ما يحصل من عدم تعديلها عدم المروءة، وظاهره أنّ المروءة لازمة للعفاف.

ففيه: تطرّق المنع إلى تفسير التبرّج بما ذكر، لعدم وضوح مدركه من اللغة والعرف والشرع، بل في كلام بعض أهل اللغة أنّه الزينة،

(١) الكافي ١: ٢٢ ح ١٤.

(٢) شرح أصول الكافي لصدر المتألهين: ٩٧ ذيل الحديث ١٤.

ومنه قوله تعالى: ﴿وَلاَ تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجاهِلِيّة﴾[1] كانت المرأة في الجاهليّة القديمة تلبس الدرع من اللؤلؤ وتمشي وسط الطريق وتعرض نفسها على الرجال.

ولو سلّم فكون المراد بالستر فيما نحن فيه هو العفّة المقابلة للتبرّج بهذا المعنى ممنوع، غاية الأمر كونه في حديث العقل والجهل كذلك، ولا ملازمة، كيف وقد عرفت عن القاموس وغيره تفسير الستر بالحياء والخوف والعمل لا بالعفّة؟

وأمّا التأييد بما ذكره بعض علماء الأخلاق من تسمية عدالة القوّة الشهوية عفّة، وجعل ما يحصل من عدم تعديلها عدم المروءة، فيدفعه: أنّه لشبهة الاصطلاح الخاصّ لا يعبأ به في استكشاف الأُمور العرفيّة أو اللغويّة.

وأمّا الموضع الثاني: فلأنّ المتبادر من كفّ الجوارح الأربع كفّها عن العيوب الشرعية وهي المعاصي الناشئة منها، لا مطلق ما تشتهيها حتى ما كان من منافيات المروءة.

وأمّا الموضع الثالث: فلظهور العيوب أيضاً في العيوب الشرعيّة ولو بقرينة ما سبق، لا ما يتناول العيوب العرفيّة، ولو سلّم فغايته كون سترها معتبراً في دليل العدالة لا في مفهومها، ولا ملازمة، فيلزم من ارتكاب منافيات المروءة الذي هو عبارة عن عدم ستر العيوب العرفيّة عدم تمامية الدليل، لانتفاء جزئه، لا انتفاء المدلول في الواقع كما أومأنا إلى ذلك سابقاً.

فالإنصاف أنّ هذه الرواية أيضاً غير تامّة الدلالة على كون المروءة مأخوذة بحسب الشرع في معنى العدالة، لتكون عبارة عن الاستقامة على جادّة الشرع والعادة بعدم الانحراف شيء منهما، بل الظاهر دلالة قوله: «وأن يعرف باجتناب الكبائر» على العدم لوجوب كون التعريف مطّرداً ومنعكساً، ولا يصير مطّرداً إلّا بانحصارها في الاجتناب عن الكبائر وعدم الإصرار على

(١) الأحزاب: ٣٣.

الصغائر، لا بشرط ترك منافي المروءة وفعله.

وأمّا ما أحدثه بعض متأخّري المتأخّرين[1] من توهّم التفصيل، بأنّه لو كشف فعل منافي المروءة عن قلّة المبالاة في الدين بحيث لا يوثق معه بالتحرز عن الكبائر والإصرار على الصغائر كانت المروءة معتبرة، وإلّا فلا.

ففيه: أنّه ليس تفصيلا في كون المروءة معتبرة في معنى العدالة، بل هو إنكار لاعتبارها مطلقاً حتى في الصورة الأُولى، لوضوح الفرق بين كون وجود شيء مأخوذاً في مفهوم العدالة ليكون ماهيّة مركبة من جزأين أو أكثر، وبين كون عدمه علامة لعدم انعقادها، باعتبار انتفاء سائر أجزائها أو عدم الوثوق بوجود سائر الأجزاء، لعدم كون ذلك من اعتبار وجوده معها في شيء، فليتدبّر.

وقد يتمسّك لاعتبار المروءة - بناء على ثبوت الحقيقة الشرعيّة في لفظ العدالة - بكونه القدر المتيقّن ممّا أخذ في المسمّى الشرعي، المفروض كونه مجملا، فوجب الأخذ به والاقتصار عليه في ترتيب الأحكام والآثار المعلّقة على العدالة.

ويزيّفه، مع أنّه ليس إثباتاً لحقيقة المعنى الشرعي في الواقع، بل هو احتياط في العمل تحصيلاً لليقين بإحراز موضوع الأحكام المعلّقة على العدالة، منع كون المرجع على تقدير الإجمال في المسمّى الشرعي هو الاحتياط على إطلاقه، بل قد يكون هو الأصل النافي لاعتبار ما زاد على اجتناب الكبائر وعدم الإصرار على الصغائر، وهو على تقدير التعويل عليه وارد على الاحتياط، مع وضوح المنع من دعوى الاجمال بعد ملاحظة ما بيّناه من دلالة قوله عليه السلام: «**وأن يعرف باجتناب الكبائر**» على عدم اعتبار المروءة، محافظة على اطّراد التعريف.

هذا مع إمكان استظهار عدم الاعتبار أيضاً من قوله: «**فمن لم**

(١) راجع رسالة العدالة للشيخ الأنصاري (رسائل فقهية): ٢٢ حيث نقل نص العبارة عن بعض متأخّري المتأخّرين.

تره بعينك يرتكب ذنباً أو لم يشهد عليه الشاهدان فهو من أهل العدالة والستر، وشهادته مقبولة» في رواية صالح بن علقمة[١] لقضائه بكون المدار في العدالة ثبوتاً وانتفاءً على ارتكاب الذنب وعدمه، وهذا كما ينفي اعتبارها شرطاً في معنى العدالة كذلك ينفي اعتبارها شرطاً في الشهادة.

ثمّ على القول بالاعتبار ربّما يتكلّم في أنّ منافيات المروءة هل توجب الفسق بمجرّدها كالكبائر، أو بشرط الإصرار والإكثار كالصغائر، أو يفصّل بين ما كان أشنع في نظر العرف كتقبيل الزوجة في المحاضر وما دونه كالأكل في الأسواق، فعن بعض سادة المشايخ[٢] ذكر هذه الوجوه واختيار أخيرها، مستشهداً بكلام جماعة قيّدوا الأكل في السوق بالغلبة والدوام.

ومن مشايخنا من يظهر منه اعتبار صيرورة ارتكابها خلقاً له، حيث قال: «ثمّ إنّ الظاهر إرادة الخلق في منافيات المروءة القادحة في العدالة كما يشير إليه كلام ثاني الشهيدين، لا أنّ اتفاق وقوع النادر قادح، وليس هو أعظم من الصغيرة»[٣].

والظاهر أنّه أراد بالخلق ما هو مصطلح علماء الأخلاق المعرّف بالهيئة الراسخة في النفس التي تصدر منها الأفعال بسهولة ويسر من غير حاجة إلى فكر ورويّة، فإن كانت الهيئة بحيث يصدر منها الأفعال الجميلة المحمودة عقلا أو شرعاً أو عرفاً سمّيت الهيئة خُلقاً حسناً، وإن كانت بحيث تصدر منها الأفعال القبيحة المذمومة عقلا أو شرعاً أو عرفاً سمّيت خُلقاً سيّئاً، وإنّما اعتبر كونه هيئة لا فعلا، إذ ربّ شخص خلقه السخاء مثلا ولا يبذل لفقد مال أو لمانع آخر، وربّما يكون خُلقه البخل وهو يبذل لباعث الشهرة أو رياء، وإنّما شرط الرسوخ؛ لأنّ من يصدر عنه بذل المال على النذور

(١) الوسائل ٢٧: ٣٩٥ ب ٤١ من أبواب الشهادات ح ١٣.
(٢) وهو السيّد الشفتي في مطالع الأنوار: ٤/ ٢٢.
(٣) الجواهر: ١٣ / ٣٠٥.

لحاجة عارضة لا يقال: خُلقه السخاء ما لم يثبت ذلك في نفسه ثبوت رسوخ، وإنّما شرط السهولة وعدم الروية؛ لأنّ من تكلّف بذل المال لا يقال: خُلقه السخاء.

وتحقيق المقام: أنّ اعتبار المروءة في مفهوم العدالة إن كان من حيث نفسها فالمتّجه عدم اعتبار الإصرار في قدح ما ينافيها قضية لإطلاق الأكثر، ومقايسته بالصغيرة بدعوى أنّه ليس بأعظم من الصغيرة باطلة، لوضوح الفرق بأنّ قدح الإصرار على الصغيرة إنّما هو لرجوعه إلى الكبيرة لا من حيث هو، إلّا على أحد الوجهين المتقدّمين.

وإن كان من حيث كشفه عن قلّة مبالاة في أمر الدين بحيث لم يوثق معه بالتحرّز عن الكبائر والإصرار على الصغائر فالمتّجه هو اعتبار الإصرار في فعل ما ينافيها بل اعتبار الغلبة، على معنى كون الغالب من أحواله ارتكاب المنافيات والإكثار فيها؛ لأنّ الكاشف عن قلّة المبالاة هو ذلك لا غير، بل قضيّة إطّراد إناطة القدح في العدالة بانكشاف قلّة المبالاة هو اعتبار صيرورة ارتكابها خلقاً كما استظهره بعض مشايخنا[1]، ويساعد عليه أيضاً التمسك لاعتبار المروءة بقوله عليه السلام: «**أن يكون ساتراً لعيوبه**» لأنّ ارتكاب منافيات المروءة إنّما يصير عيباً إذا صار خُلقاً لا لمجرّد صدوره فعلاً على الندرة.

وحيث إنّ هذا العيب وصف نفساني فالكاشف عن وجوده تكرّر صدور ارتكابها على وجه الدوام أو الغلبة، ولعلّه سرّ ما سمعت نسبته إلى جماعة من تقييدهم الأكل في الأسواق بالغلبة والدوام، ولو اعتبرنا في العدالة كونها ملكة تبعث على ملازمة التقوى والمروءة لزم منه اعتبار كون المروءة أيضاً من قبيل الخُلق، وعليه ينطبق معناها لغة على ما عن القاموس: «من كونها مأخوذة عن مَرُؤ ككَرُم، وقرب مُرُوءَة فهو مَريءٌ أي ذو مرُوءَة وإنسانيّة وتمرّأ تكلّفها». وعزّى نحوه إلى الصحاح، وزاد قوله: وقد تشّد فيقال: (مروءة).

(١) الجواهر: ١٣ / ٣٠٥.

وعـرّفـت اصـطـلاحـاً بـآداب نفسانيّة تحمل مراعاتها الإنسان على الوقوف عند محاسن الأخلاق وجميل العادات، وقد تحقّق بمجانبة ما يؤذن بخسّة النفس من المباحات، كالأكل في الأسـواق حيث يمتهن فاعله.

وفي معناه ما عن الدروس: من أنّ المروءة «تنزيه النفس عن الدناءَة التي لا تليق بأمثاله كالسخرية، وكشف العورة التي يتأكّد استحباب سترهـا فـي الـصـلاة، والأكـل في الأسـواق غالباً، ولبس الفقيه لباس الجُنديّ بحيث يسخر منه»[1].

وفـي معناها مـا فـي الـروضـة: من أنّها «التخلّق بخُلق أمثاله في زمانه ومكانه، فالأكل في السوق والـشـرب فيها لغير سوقي إلّا إذا غلبه العطش والـمـشي مكشوف الـرأس بين الناس وكثرة السخرية والحكايات المضحكة ولبس الفقيه لباس الجُنديّ وغيره ممّا لا يعتاد لمثله بحيث يسخر منه وبالعكس، ونحو ذلك يسقطها، ويختلف الأمر بـاخـتـلاف الأحـــوال والأشـخـاص والأمـاكـن، ولا يقدح فعل السنن وإن استهجنها العامّة وهجرها الناس كالكُحْل والحَناء والحنك في بعض البلاد، وإنّما العبرة بغير الراجح شرعاً»[2].

وكـأنّـه أراد بقوله: «ولا يقدح فعل السنن وإن استهجنها العامّة» خروج فعل السنن الذي يعاب عليه عند العامّة عن قاعدة فعل منافيات الـمـروءة خـروجـاً موضوعيّاً، بناء على أنّ العيوب العرفيّة التي يعتبر مجانبتها في العدالة، وينبغي للمؤمن صيانة نفسه وعرضه عنها، بـأن لا يفعل في شهود الناس ما يعاب عليه إنّما هي العيوب التي كانت عيوباً في نظر الـشـارع، فما لم يكن عيباً في نظر الـشـارع لم يقدح ارتكابه فيها وإن استعابه جهلة العامّة في بعض الأزمان أو في بعض الأماكن، ومرجعه إلى أنّه ليس بعيب واقعي، ومواظبة السنن ليست من العيوب في

(١) الدروس ٢: ١٢٥.

(٢) الروضة ٣: ١٣٠.

نظر الشارع وإن كانت يعاب عليها في بعض الأحيان عند جهلة الناس.

ويمكن إرادة خروجها عن حكم منافيات المروءة، بناء على احتمال اتصال الاستثناء، بدعوى تحكيم أدلّة استحباب السنن على دليل المروءة، القاضي بأنّه لا يليق بذوي المروءات أن يرتكبوا الأُمور الخسيسة بأنفسهم عند مشاهدة الناس وإن جاز لهم في الخلوات، ويختلف ذلك باختلاف الأزمنة والبلاد والأشخاص.

ويشكل كلّ من التوجيهين بما روي عن الصادق عليه السلام أنّه نظر إلى رجل من أهل المدينة قد اشترى لعياله شيئاً وهو يحمله فلمّا رآه الرجل استحيى منه، فقال عليه السلام: «**اشتريته لعيالك وحملته إليهم، أما والله لولا أهل المدينة لأحببت أن أشتري لعيالي الشيء ثمّ أحمله إليهم**»[1].

وقد أراد عليه السلام لولا مخافة أن يعيبوني على ذلك لفعلته.

مع ما فيه من الفضل والمدح في روايات مستفيضة، وقد تركه الإمام عليه السلام مخافة أن يعيبه أهل المدينة، ولذا كان جدّه أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) يفعل مثله، وكان يشتغل شغل الحمّال وغيرهم من العمّال، وليس ذلك إلّا لأجل أنّه كان في زمانه لا يعاب عليه بمثله، فجاز له أن يرتكبه، وكان منقبة له وتعظيماً سنيّاً وخُلقاً كريماً.

[رسالة في العدالة]

(١) الكافي ٢: ١٢٣ ح ١٠.

الفتنة العقائدية

الشيخ محمد تقي مصباح اليزدي

إنّ ما يؤمن به كل عاقل من أعماق قلبه، ويجب عليه بعد الإيمان به الالتزام بمقتضياته، هو أنّنا بنو الإنسان خَلق الله وعباده، فالباري تعالى هو الذي خلقنا ومنحنا نعمة الوجود، وأتمّ نعمته علينا إذ أرسل إلينا خِيَرة خَلقه، وأنزل معهم الكتب السماوية من أجل أن نصل إلى التكامل والسعادة، ومن الطبيعي أنّ حمده وشكره على نعمة الهداية والدين التي هي أكبر النعم الإلهية بعد نعمة الوجود لا يتحقق إلّا بالخضوع لعبودية الله، وهذه أسمى مرتبة يمكن تصوّرها للإنسان.

وعلى صعيد آخر فإنّ الباري تعالى قد مَنَّ على الناس؛ إذ أتمّ نعمته عليهم وهداهم، وأنزل إليهم دين الحق، ولكن ما أقل مَن يدركون ضعفهم وضآلة قدرهم، ويفهمون مدى عظمة الله وكثرة نعمه التي خلقها للإنسان، ولطفه ورأفته به!

حقاً ما أقبح وأجحد أن يمَنّ الإنسان

الجاهل على الله أن آمن بهديه ورسالته، غافلاً عن أنّ المنّة لله علينا؛ لأنّه هو الذي هدانا إلى دين الحق.

يخاطب القرآن الكريم رسول الله صلى الله عليه وآله: ﴿يَمُنّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُل لاَ تَمُنّوا عَلَيّ إِسْلاَمَكُم بَلِ الله يَمُنّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلإِيمَانِ﴾[1] فأنتم الذين يجب أن تؤدوا هذا الحق كما ينبغي بالطاعة والعبادة، لا أن تعتبروا أنفسكم أصحاب حق بذريعة الإيمان، وترون أنّ لكم على الله حقاً، وعلى هذا الأساس فالأصل في الرؤية الدينية التسليم والعبودية لله وليس المنّة والاستكبار عليه، وقد وصف الرسول صلى الله عليه وآله روح المنّة والاستكبار على الله بدلاً من الاستسلام والخضوع له بأنّه من مظاهر الفتنة في الدين، فقال: **إنّ الناس من بعدي سيمنّون على ربّهم بدلاً من شكره على نعمة الهداية، والامتنان له لقاء ما جعله لهم من دين الحق**، فهم يرون لأنفسهم حقّاً على الله، ويرجون رحمته انطلاقاً من موقف التفضّل والمنّة، كما أنّهم بناءً على إيمانهم لا يرون أنّهم يستحقون أي نوع من العقاب، ومع أنّ الله عزّ وجل لا يعاقب عبداً من غير سبب، لكن الرسول صلى الله عليه وآله يعتبر مثل هذا الشعور بمثابة فتنة في الدين؛ لأنّ مَن يحملون مثل هذا الشعور لا ينسجم الالتزام بالتعاليم الدينية مع أهوائهم النفسية، ولهذا يحاولون خداع أنفسهم وخداع الآخرين بذرائع واهية. وعلى هذا الأساس فإنّ وجود روح الاستكبار إزاء الله عزّ وجل لا ينسجم مع حقيقة الدين ورح الإسلام، الذي هو ليس الاستسلام التام لله.

[تجلّي القرآن في نهج البلاغة]

(١) سورة البقرة: ٢٧٩.

أوراق علمية

أقل الجمع عند الشيخ الطوسي

شيخ الطائفة الطوسي

ذهب المتكلّمون وأكثر الفقهاء إلى أنّ أقل الجمع ثلاثة.

وقال مَن شذّ منهم: إنّ أقل الجمع اثنان.

والصحيح هو الأول. والذي يدلّ على ذلك: أن أهل اللغة فرّقوا بين التثنية والجمع وخصوا كلّ واحد منهما بأمر لا يشركه فيه الآخر، فقالوا: التثنية تكون بالألف والنون والياء والجمع يكون بالواو والألف والتاء كما فرقوا بين الواحد والاثنين، فإن جاز أن يدعى في التثنية أنهما جمع جاز أن يُدعى في الواحد أنه تثنية أو جمع وقد علمنا خلاف ذلك.

ويدلّ على ذلك أيضاً: أنهم يقولون للاثنين (افعلا) إذا أمروهما وللجماعة (افعلوا) ويثنون بالألف ويجمعون بالواو وعلى مذهب الخصم كان يجب أن لا يكون بينهما فرق.

ويدلّ أيضاً على ذلك: أنهم يفسّرون بلفظ الجمع عدد الثلاثة فيقولون: (ثلاثة رجال) ولا يفسرون به الاثنين، بل يقولون: (ورجلان) فعلم بجميع ذلك الفرق بينهما.

وأيضاً: فان السامع إذا سمع المتكلم يقول: (رأيت رجالاً) لا يفهم من ذلك

ولا يسبق إلى قلبه إلّا ثلاثة ولا يسبق إلى قلبه اثنان أصلاً فعلم أنّ الحقيقة ما قلناه.

فأمّا مَن خالف في ذلك فإنه يستدلّ بأشياء.

منها: أن الجمع مأخوذ من ضم شيء إلى شيء وذلك موجود في الاثنين فينبغي أن يكون جمعاً.

والجواب عن ذلك أنّا لا ننكر أن يكون أصل الاشتقاق ما ذكروه لكن صار بعرف اللغة ومواضعتهم مخصوصاً ببعض ذلك وهو إذا كانوا ثلاثة منضمّين وجرى ذلك مجرى قولهم (دابّة) في أنه موضوع في أصل اللغة لكلّ ما يدبّ ثمّ صار بعرف اللغة مخصوصاً لدابة بعينها فكذلك لفظ الجمع على أنه إنما نريد بقولنا: أقل الجمع ثلاثة أن أحكام الثلاثة لا تُجرى على الاثنين وأحكام الاثنين لا تجُرى على ثلاثة على ما بيناه.

فإن سلّموا ذلك وقالوا مع ذلك الاثنان من حيث الاشتقاق كان ذلك خلافاً في عبارة لا يعتد بمثله. واستدلوا أيضاً: بما روى عن النبي صلى الله عليه وآله أنّه قال: «**الاثنان فما فوقهما جماعة**»[1] فسماهما جماعة.

والجواب عن ذلك: أن قوله صلى الله عليه وآله ينبغي أن يحمل على الأحكام؛ لأنها المستفادة من جهته ولا يحمل على الأسماء؛ لأنها مستفادة معلومة باللغة.

وقد قيل في معناه شيئان: احدهما: أنه كان نهى عن خروج الرجل وحده في السفر، ثمّ أباح ذلك في الاثنين فخبّر عند ذلك أن حكم الاثنين في جواز السفر حكم الثلاثة وما زاد على ذلك.

والوجه الآخر: أنه أراد بذلك فضيلة الجماعة بالصلاة؛ لأن حكم الاثنين في انعقاد الجماعة بهما وحصول الفضل لهما حكم الثلاثة وما زاد على ذلك فينبغي أن يحمل الخبر عليهم.

ومنها: قوله تعالى: ﴿**وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ**﴾[2] وعنى بذلك

(١) كنز العمال: ٧ / ٥٥٥ رقم ٢٠٢٢٤.
(٢) سورة الأنبياء: ٧٨.

داود وسليمان وهما اثنان.

ومنها: قوله تعالى: ﴿إِذْ دَخَلُوا عَلَى دَاوُودَ﴾[1]، وإنما أراد به الخصمين.

والجواب عن ذلك من وجهين احدهما: أن ذلك مجاز وكلامنا في الحقيقة وجرى ذلك مجرى قولنا: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾[2] ونحو قوله: ﴿كُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ﴾[3] ولا خلاف أنّ لفظ الجماعة في الواحد مجاز فلو لزم ما قالوه للزم أن يكون ذلك حقيقة في الواحد وللزم في قوله: ﴿وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ﴾[4] لأن لفظ (الخصم) لفظ الواحد ومع ذلك قد اخبر عنه بلفظ الجمع وذلك مجاز بلا خلاف.

والوجه الثاني: أن قوله: ﴿وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ﴾ أراد به داود وسليمان والمحكوم عليه والخصم وهم جماعة فلأجل ذلك اخبر عنهم بلفظ الجمع.

وكذلك قالوا في قوله تعالى: ﴿خَصْمَانِ بَغَى بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ﴾[5] انه أراد به جنس الخصمين، لأن لفظ (الخصم) لفظ المصدر ويقع على الواحد والجماعة والذكر والانثى على حد واحد؛ لأنهم يقولون: (رجل خصم) و(رجال خصم) و(امرأة خصم) و(نساء خصم) كلّ ذلك بلفظ واحد.

وإذا ثبت ذلك كان قوله (خصمان) لا يختص بالاثنين دون ما زاد عليهما فلأجل ذلك اخبر عنهما بلفظ الجماعة.

وقوّوا ذلك بأن قالوا: قال في أول الآية: ﴿وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ﴾ فاخبر عن (الخصم) بكناية الجماعة فعلم بذلك انه أراد الجنس دون الواحد.

وعلى الوجهين جميعاً سقط التعلّق بالآيات.

[العدّة في أصول الفقه]

(١) سورة ص: ٢٢.
(٢) سورة الحجر: ٩.
(٣) سورة الانبياء: ٧٨.
(٤) سورة ص: ٢١.
(٥) سورة ص: ٢٢.

الشيعة والتخصص العلمي

العلّامة الطباطبائي

أخذ عدد الشيعة بالتزايد في عهد الإمامين الخامس والسادس، وأخذت أفواج الناس تقصد أهل البيت من مختلف بقاع العالم الإسلامي وهي تبتغي النهل من علمهم. منذ ذلك الوقت أخذ الإمامان (الباقر والصادق عليهما السلام) يتعاطون مع كلّ إنسان بحسب استعداده العلميّ، ويعلمانه طبق هذا الاستعداد.

وكان منهج الإمامين في ذلك يقوم على الشروع بإعطاء مجموعة من المعارف الدينية العامّة التي تليق بالمستوى العام، ثمّ يعمدان بعد ذلك إلى التعاطي علميّاً وتربوياً مع كلّ إنسان بالاختصاص الذي يليق باستعداده الشخصي وينشئانه علمياً وتربوياً على ذلك.

لقد كان من ثمار هذا المنهج أن برز عدد من الفقهاء اللامعين الذين تخصّصوا بالفقه؛ من نظير زرارة ومحمّد بن مسلم وحمّاد وبريد وأبي بصير وأمثالهم. فقد علّمهم الإمام عليه السلام كليّات القواعد الفقهيّة، وأناط بهم استنباط الأحكام الفرعيّة.

هذه الثلّة من الفقهاء كان لها حقّ الفتيا، وقد أرجع الإمام الشيعة إليهم.

وممّا يرسم لنا الحدود المائزة بين الاختصاصات أنّ أحدهم عرض يوماً على الإمام أنّه يعود في اختلاف الأخبار

إلى المفضّل بن عمرو، وما كان من الإمام إلّا أن أمره بالعودة إلى زرارة؛ لأنّ المفضّل لم يكن فقيهاً، بل كانت مطالعاته تميل نحو الفلسفة. بديهي أنّ الروايات التي تتعاطاها هذه الثلّة، لها في مجال الفقه شأن علمي كبير.

ثمّة مجموعة ثانية اتّجهت إلى الكلام وأصول الدين واختصّت بهما على نحو كامل؛ من أمثال هؤلاء: هشام بن الحكم وهشام بن سالم والمفضل بن عمرو وقيس ومؤمن الطاق وأضرابهم.

وقد كان هؤلاء مجازين في خوض لجّة البحث والجدل الكلامي، بل كانت تأتي الأوامر لبعضهم أحياناً، من قبل الإمام نفسه، لممارسة البحث الكلامي. وفي المقابل كان الإمام ينهى طائفة أخرى عن البحث ويمنع عليها الجدل الكلامي. ممّن منع عن البحث الكلامي أبو عبيدة حذّاء وأبو بصير وأبو خالد الكابلي، وفي المقابل شجّع الإمام عليه السلام هشام وعبد الأعلى والطيار ومحمّد بن حكيم وأضرابهم، في خوض البحوث الكلامية.

وأكثر من ذلك، نستفيد من حديث ينقله ثقة الإسلام الكليني في أصول الكافي (أوّل كتاب الحجّة) أنّ كلّ واحد من متكلّمي الشيعة كان له تخصّص بارز في مجال معين من البحث الكلامي.

من جهة أخرى نتبيّن ممّا يذكره ابن خلكان في وفيات الأعيان في ترجمة الإمام السادس عليه السلام أنّ جابر بن حيان كان يستفيد من الإمام في علم الكيمياء. فقد قيل: إنّ للإمام الصادق (٥٠٠) رسالة في الكيمياء نقلها عنه جابر.

وما يذكره البستاني في هذا الخصوص في ترجمته للإمام عليه السلام أنّ للإمام بحوثاً في الكيمياء، وأنّ تلميذه جابر بن حيان ألّف كتاباً يبلغ ألف صفحة تضمن رسائل الإمام جعفر الصادق في هذا المجال؛ هذه الرسائل التي بلغت (٥٠٠) رسالة. يضيف البستاني: كلّما ذكر جابر:

«قال سيدي»، أو «سمعت سيّدي» فانّه يقصد الإمام جعفر الصادق عليه السلام.

أمّا جرجي زيدان فقد ذكر في مجلة الهلال (السنة العاشرة، العدد الثامن): إنّ من غرائب الأمور أن يهتم الأجانب بترجمة جابر بن حيان، ويفوقوا العرب بالاهتمام به، فقد أطنب أولئك في بحث أحواله وكتبه، واعترفوا أنّه أوّل مخترع للكيمياء القديمة والجديدة، وأن كتبه موجودة في المكتبات الأوربية.

ويمكن لمن يروم المزيد من التوضيح أن يعود إلى كتاب (الإمام الصادق) للدكتور محمّد يحيى الهاشمي، وكتاب (حياة الإمام جعفر بن محمّد).

نستفيد من هذه المقدّمات الوجيزة أنّ الإمام السادس (الصادق عليه السلام) هو أوّل من بادر لتعليم طلّابه وأصحابه وفق استعداداتهم العلمية، ودفع كلّ واحد منهم بالاتجاه الذي يتناسب مع ميوله، بحيث تميّز كلّ واحد منهم بالاختصاص بفنّ بعينه، ممّا أدّى إلى أن تتخرّج من مدرسته ثلّة ممتازة رفدت دنيا العلم بفنون الاختصاص. والذي يروم المزيد بمقدوره أن يعود في هذا المجال إلى الجزء الرابع من موسوعة بحار الأنوار، وكتاب توحيد الصدوق، واحتجاج الطبرسي.

[نص الحوار مع هنري كوربان]

الشيعة والتقليد

في عصر حضور الأئمة (عليهم السلام)

فقيه أهل البيت عليهم السلام
آية الله العظمى السيد محمد سعيد الحكيم

س١/ هل كان التقليد والرجوع للعلماء موجوداً لدى شيعة أهل البيت عليهم السلام في عصور حضور الأئمة عليهم السلام، أو عصر الغيبة الصغرى، أو بدأ بعدها؟

الحمد لله ربّ العالمين والصلاة والسلام على سيّدنا ونبينا محمّد وآله الطاهرين ولعنة الله على أعدائهم أجمعين إلى يوم الدين.

وبعد... فالرجوع للعلماء وسؤالهم عن الأحكام الشرعية العملية مما جرت عليه سيرة الشيعة وجميع المسلمين من الصدر الأول، وعرف في كل عصر جماعة ممن يتصدى للفتوى.

وقد تضمَّنت النصوص تصدِّي بعض علماء الشيعة لذلك، مثل أبان بن تغلب، الذي قال الشيخ الطوسي في حقّه:

ـ بعد أن مدحه وعظَّمه: وقال له أبو

جعفر الباقر عليه السلام: «**اجلس في مسجد المدينة، وأفت الناس، فإني أُحب أن يُرى في شيعتي، مثلك، فجلس**»[1].

ومثل معاذ بن مسلم النحوي فقد روى في حديثه عن الإمام الصادق عليه السلام قال: «**بلغني أنك تقعد في الجامع فتفتي الناس**»؟ قلت: نعم، وأردت أن أسألك عن ذلك قبل أن أخرج. إني أقعد في المسجد فيجيء الرجل فيسألني عن الشيء، فإذا عرفته بالخلاف لكم أخبرته بما يفعلون، ويجيء الرجل أعرفه بمودتكم وحبكم فأخبره بما جاء عنكم، ويجيء الرجل لا أعرفه ولا أدري من هو، فأقول: جاء عن فلان كذا وجاء عن فلان كذا، فأدخل قولكم فيما بين ذلك.

قال: فقال ليّ: «**اصنع كذا، فإني كذا أصنع**»[2].

لكن الفقه الشيعي لم يكن متميزاً بنفسه وبفقهائه في الصدر الأول بسبب الفتن والمآسي التي مرَّت على الشيعة، والتي كانت السبب في تركيزهم على الجانب السياسي، واهتمامهم بتسنم أهل البيت (صلوات الله عليهم) السلطة واستلامهم دفة الحكم من دون أن تتضح لهم معالم الخلاف بين أهل البيت عليهم السلام وغيرهم في الفقه، وربما كانوا يستفتون العامَّة ويأخذون الأحكام منهم غفلةً عن مخالفتهم لأهل البيت عليهم السلام فيها.

وبعد فاجعة الطف حيث قضي على أمل استلام أهل البيت عليهم السلام السلطة في الزمن القريب المنظور، وحيث تجلت ظلامة أهل البيت وظهر حقهم، واتضحت معالم الضلال والباطل في الجانب الآخر، اتجه الشيعة لأئمة أهل البيت (صلوات الله عليهم) من أجل أخذ دينهم منهم في عقائدهم وفقههم وباينوا غيرهم وأعرضوا عنهم.

ورأى الأئمة (صلوات الله عليهم) الأرضية الصالحة والظرف المناسب لتركيز مفاهيمهم في شيعتهم وبث تعاليمهم لهم في

(١) الفهرست: ١٧.
(٢) وسائل الشيعة: ١٨ / ١٠٨.

العقائد والفقه ومعايير الحب والبغض والتولي والتبري، وجهدوا في قيام كيان علمي لهم يحمل تلك التعاليم ويبثها فيهم، ليستغنوا به عن غيرهم.

ويبدو اهتمام الإمام الباقر عليه السلام بهذا الجانب من وصيته للإمام الصادق عليه السلام. ففي صحيح هشام بن سالم عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «**لما حضرت أبي الوفاة قال: يا جعفر، أوصيك بأصحابي خيراً. قلت: جعلت فداك، والله لأدعنهم والرجل منهم يكون في المصر، فلا يسأل أحداً**»[1]. وقام (صلوات الله عليه) بما وعد، وبدأ الشيعة يقصدون علماءهم ويرجعون إليهم، وتصدَّى جماعة منهم للفتيا، كما أرشد الأئمة عليهم السلام إلى جماعة منهم.

ففي صحيح شعيب العقرقوفي: «قلت لأبي عبد الله عليه السلام: ربما احتجنا أن نسأل عن الشيء فمن نسأل؟ قال: **عليك بالأسدي**. يعني أبا بصير»[2].

(١) الكافي: ١ / ٣٠٦.
(٢) اختيار معرفة الرجال: ١ / ٤٠٠.

وفي صحيح عبد الله بن أبي يعفور: «قلت لأبي عبد الله عليه السلام: إنه ليس كل ساعة ألقاك، ولا يمكن القدوم، ويجيء الرجل من أصحابنا فيسألني وليس عندي كل ما يسألني عنه. فقال: **ما يمنعك عن محمد بن مسلم الثقفي، فإنه سمع من أبي وكان عنده وجيهاً**»[3].

وفي حديث علي بن المسيب: قلت للرضا عليه السلام: شقتي بعيدة ولست أصل إليك في كل وقت، فممن آخذ معالم ديني؟ قال: «**من زكريا بن آدم القمي المأمون على الدين والدنيا**». قال علي بن المسيب: فلما انصرفت قدمنا على زكريا بن آدم، فسألته عن ما احتجت إليه[4].

وفي معتبر عبد العزيز بن المهتدي: سألت الرضا عليه السلام: إني لا ألقاك في كل وقت، فعن من آخذ معالم ديني؟ فقال: «**خذ عن يونس بن عبد الرحمن**»[5].

(٣) وسائل الشيعة: ١٨ / ١٠٥.
(٤) وسائل الشيعة: ١٨ / ١٠٦.
(٥) وسائل الشيعة: ١٨ / ١٠٧.

كما ورد الإرجاع إلى جماعة آخرين، مثل الحارث بن المغيرة، وزرارة بن أعين، والمفضل بن عمر، والعمري وابنه، في أحاديث كثيرة لا يسعنا استقصاؤها[1].

كما ورد الارجاع للعلماء عامة من دون تعيين لشخص خاص في نصوص كثيرة منها: التوقيع الشريف المشهور الصادر عن الإمام المنتظر صاحب الزمان عجل الله فرجه الشريف في أواسط عصر الغيبة الصغرى أو أوائلها: «**وأما الحوادث الواقعة فارجعوا فيها إلى رواة حديثنا فإنهم حجتي عليكم وأنا حجة الله**»[2]. ومنها ما يأتي عن الإمام الهادي عليه السلام.

وتكامل للشيعة فقههم واستغنوا عن غيرهم. ففي معتبر محمد بن حكيم: قلت لأبي الحسن موسى عليه السلام: جعلت فداك فقّهنا في الدين وأغنانا الله بكم من الناس، حتى أن الجماعة منّا لتكون في المجلس ما يسأل رجل صاحبه [إلّا] يحضره المسألة ويحضره جوابها فيما منّ الله علينا بكم..[3].

وفي كتاب الإمام الهادي عليه السلام لأحمد بن حاتم وأخيه: «**فاصمدا في دينكما على كل مُسِنٍّ في حبّنا وكلّ كثير القدم في أمرنا، فإنهما كافوكما إن شاء الله تعالى**»[4].

بل ربما كان غيرهم يرجع إليهم في معضلات المسائل، لعلمهم بأنهم قد أخذوا أحكامهم من عين صافية لا تنضب، ففي موثق محمد بن مسلم: «إني لنائم ذات ليلة على السطح، إذ طرق الباب طارق... فأشرفت فإذا امرأة، فقالت: لي بنت عروس ضربها الطلق، فما زالت تطلق حتى ماتت، والولد يتحرك في بطنها، يذهب ويجيء، فما أصنع؟ فقلت: يا أَمة الله سُئل محمّد بن علي بن الحسين الباقر عليه السلام عن مثل ذلك، فقال: «**يشق بطن الميت، ويستخرج الولد**»، يا أمة الله أفعلي مثل ذلك. أنا يا أمة

(١) أُنظر رجال الكشي: ٣٥٧، ٤٨٣، ٥٩٥. ورجال الشيخ الطوسي: ٥٠٩. ووسائل الشيعة: ١٨ / ١٠٣-١١١.
(٢) وسائل الشيعة: ١٨ / ١٠١.
(٣) وسائل الشيعة: ١٨ / ٦١.
(٤) وسائل الشيعة: ١٨ / ١١٠.

الله رجل في ستر، من وجّهك إلي؟ قال: قالت لي: رحمك الله، جئت إلى أبي حنيفة صاحب الرأي، فقال: ما عندي في هذا شيء، ولكن عليك بمحمد بن مسلم الثقفي، فإنه يَخبر، فما أفتاك به من شيء فعودي إلي فأعلمينيه. فقلت لها: امضِ بسلام. فلما كان الغد خرجت إلى المسجد وأبو حنيفة يسأل عنها أصحابه، فتنحنحت. فقال: اللهم غفراً، دعنا نعيش»[1].

وعن السياري قال: «روي عن ابن أبي ليلى أنه قدم إليه رجل خصماً له، فقال: إن هذا باعني هذه الجارية، فلم أجد على ركبها حين كشفتها شعراً، وزعمت أنه لم يكن لها قط، قال: فقال له ابن أبي ليلى: إن الناس يحتالون لهذا بالحيل حتى يذهبوا به، فما الذي كرهت؟ قال: أيها القاضي إن كان عيباً فاقض لي به. قال: اصبر حتى أخرج إليك، فإني أجد أذى في بطني، ثم دخل وخرج من باب آخر، فأتى محمد بن مسلم الثقفي، فقال له: أي شيء تروون عن أبي جعفر عليه السلام في المرأة لا يكون على ركبها شعر، أيكون ذلك عيباً؟ فقال محمد بن مسلم: أما هذا نصاً فلا أعرفه، ولكن حدثني أبو جعفر عليه السلام عن أبيه عن آبائه عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال: **كل ما كان في أصل الخلقة، فزاد أو نقص فهو عيب**. فقال له ابن أبي ليلى: حسبك، ثم رجع إلى القوم فقضى لهم بالعيب»[2].

وقد أكد الأئمة عليهم السلام على كتابة العلم والحديث من أجل أن يحفظ العلم وينتفع الناس به، خصوصاً في عصر الغيبة، حيث لا مفزع للناس إلّا كتب الحديث، ففي معتبر أبي بصير: «سمعت أبا عبد الله عليه السلام: **اكتبوا فإنكم لا تحفظون حتى تكتبوا**»[3].

وفي موثق عبيد بن زرارة: «قال أبو عبد الله عليه السلام: **احتفظوا بكتبكم، فإنكم سوف تحتاجون إليها**»[4].

وفي حديث المفضل بن

(١) رجال الكشي: ١٤٦.

(٢) وسائل الشيعة: ١٢ / ٤١٠.

(٣) وسائل الشيعة: ١٨ / ٥٦.

(٤) وسائل الشيعة: ١٨ / ٥٦.

عمر: «قال أبو عبد الله عليه السلام: **اكتب وبث علمك في إخوانك، فإن متّ فأورث كتبك بنيك، فإنه يأتي على الناس زمان هرج لا يأنسون فيه إلّا بكتبهم**»[1].

وبدأ فقهاء الشيعة يؤلِّفون الكتب في الأحكام الشرعية لعمل الناس التي هي أشبه بالرسائل العملية، يحضرنا منها كتاب (يوم وليلة) ليونس بن عبد الرحمن من أصحاب الرضا عليه السلام، الذي ورد عنهم عليهم السلام في نصوص كثيرة الثناء عليه، وإقرار العمل به[2].

وكذا كتاب يوم وليلة المعروف بكتاب (التأديب) لتلميذه أحمد بن عبد الله بن مهران المعروف بابن خانبة، ورسالة علي بن بابويه القمي والد الصدوق المتوفى في عصر الغيبة الصغرى.

وكتاب (المتمسك بحبل آل الرسول) لابن أبي عقيل العماني المعاصر له، وكتاب (المختصر الأحمدي في الفقه المحمدي) لابن الجنيد المقارب لهما.

وما كتاب (من لا يحضره الفقيه) الذي ألّفه الصدوق في أوائل الغيبة الكبرى إلّا رسالة عملية يرجع إليها من لا يتيسَّر له سؤال الفقيه، وهي تتضمن فتاوى الصدوق.

ثمّ تتابعت الرسائل للعلماء طبقة بعد طبقة، كـ(المقنعة) للشيخ المفيد، و(جمل العلم والعمل) للسيد المرتضى، و(النهاية في مجرد الفقه والفتوى) للشيخ الطوسي، (قدس الله أسرارهم الزكية)، وغير ذلك مما لا يحصى كثرة.

[المرجعية والتقليد وقضايا أخرى]

(١) وسائل الشيعة: ١٨ / ٥٦.

(٢) وسائل الشيعة: ١٨ / ٧١ ٧٢.

نسبة العمل بالقياس لابن الجنيد بين المنقول والواقع

تقريرات بحث السيد السيستاني دام ظله

بقلم السيد منير الخباز

إنّ نسبة العمل بالقياس لابن الجنيد وردت في عدة كتب ولكننا نحتمل أن تكون النسبة في غير محلها بمقتضى تتبعنا لاستعمال كلمة القياس، فلعل المراد بهذه الكلمة هو ما نعبر عنه بالموافقة الروحية للكتاب والسنة.

بيان ذلك: إنّ معظم الأصوليين المتأخرين فسروا الأحاديث الآمرة بعرض الخبر على الكتاب والسنة نحو: «**ما وافق كتاب الله فخذوه وما خالف فذروه**»[1] بالموافقة والمخالفة النصية، بمعنى أن يعرض الخبر على آية قرآنية معينة فإن كانت النسبة بينهما هي التباين أو العموم من وجه، طرح الخبر، وإن كانت النسبة هي التساوي أو العموم المطلق، أخذ، ولكننا نفهم أن المراد بالموافقة الموافقة الروحية أي توافق مضمون الحديث مع الأصول الإسلامية العامة المستفادة من الكتاب والسنة، فإذا كان الخبر مثلاً ظاهره الجبر فهو مرفوض لمخالفته قاعدة الأمر بين الأمرين المستفادة من الكتاب والسنة بدون مقارنته مع آية معينة، وهذا المفهوم الذي نطرحه هو الذي يعبّر عنه علماء الحديث المتأخرون بالنقد الداخلي للخبر، أي مقارنة مضمونه مع الأصول العامة

(١) بحار الأنوار:ج٢، ص٢٣٥؛ وسائل الشيعة: ج٢٧، ص١١٨.

والأهـداف الإسلامية، وهو المعبر عنه في النصوص بالقياس، نحو: «**فقسه على كتاب الله**»[1]، إذن فمن المحتمل كون المراد من عمل ابن الجنيد بالقياس هو كونه من المدرسة المتشدّدة في قبول الحديث التي تلتزم بنظرية النقد الداخلي للحديث والـموافقـة الـروحيـة فيه للكتاب والسنة، في مقابل مدرسة المحدثين الـتـي تعتقد بقطعية صـدور أكثر الأحاديث دون مقارنتها مع الأصول الإسلامية، ومما يؤيّد ما ذكرناه نسبة العمل بالقياس لأعـاظـم الإمامية كما في رجـال السيد بحر العلوم، قال: «فقد ذكر السيّد المرتضى في رسالة له في أخبار الآحـاد أنـه قد كـان في رواتنا ونقلة أحاديثنا من يقول بالقياس، كالفضل بن شاذان ويونس بن عبد الرحمن وجماعة معروفين»[2]. وقال في كشف القناع: «وحـكـى- الـصـدوق- في مواضع متفرقة عن جماعة من أساطينهم العمل بالقياس، وفيهم من الأوائل مثل زرارة بن أعين وجميل بن دراج وعبد الله بن بكير»[3]. ولا يتصور في حق هؤلاء الأعاظم العمل بالقياس الفقهي مما يشير إلى أن المقصود بالقياس هو التشدّد في قبول الحديث بالعمل بنظرية النقد الداخلي، ويؤيده ما حكاه المحقّق في المعارج، قال: المسألة السادسة: قال شيخنا المفيد: خبر الواحد القاطع للعذر هو الذي يقرن بدليل يفضي بالنظر فيه إلى العلم، وربما يكون ذلـك إجماعاً أو شـاهـداً من عقل أو حاكماً من قياس[4].

[الرافد في علم الأصول]

(١) وسائل الشيعة: ج٢٧، ص١٢٣.
(٢) رجال السيد بحر العلوم: ج٣، ص٢١٥.
(٣) كشف القناع: ج١، ص٨٣٠.
(٤) معارج الأصول: ١٨٧.

ما هو التقليد ولماذا نُقلّد؟

السيد محمد باقر السيستاني

التقليد: هو رجوع غير المتخصّص في المسائل النظرية التي يحتاج إليها في خياراته في الحياة إلى المتخصّص في تلك المسائل.

وذلك حالة عقلائية يجري عليها الإنسان في جميع حوائجه في الحياة على اختلاف أنواعها، فهو إذا مرض يرجع إلى الطبيب، وإذا أراد أن يخطط للبناء رجع إلى المهندس، وإذا أراد أن يشخّص مدى خطورة البناء القائم رجع إلى البنّاء، وهكذا.

بل الحياة العامة للإنسان لا تخلو عن رجوعه فيما لا خبرة له إلى

من يملك الخبرة فيه، فالزوج قد يسأل زوجته عما هي أخبر به، والزوجة تسأل زوجها كذلك. وكل من الوالدين والأولاد والأصدقاء والزملاء يسألون بعضهم بعضاً في ما هم أخبر به ويعوّلون عليهم.

وتلك هي ضرورة الحياة في تكامل الناس بعضهم مع بعض في الخبرة والإيفاء بالحاجة، ولو أراد الناس تحصيل الخبرة بشكل مباشر في كل ما يحتاجون إليه بحيث يستغنون عن التعويل على قول الآخرين لم تكف حياتهم لذلك، ولو كفت فهم قبل بلوغ ذلك يحتاجون إلى الاعتماد على قول الآخرين حتى يكتسبوا الخبرة اللازمة، مع أنّ سعي الإنسان إلى اكتساب الخبرة في كل شيء يبدو عملاً غير عقلائي؛ لأنّه يعطل جوانب ضرورية في حياته، فالجاري عند العقلاء كافة أنهم يكتسبون الخبرة في مجال ليستثمروه في العمل ويتكسبوا به للإيفاء بحوائجهم في الحياة، ويعولون في سائر المجالات على خبرة الآخرين.

وليس المجال الشرعي والفقهي بدعاً في هذا المجال فالمسائل الشرعية تنقسم إلى قسمين:

الأوّل: أمورٌ واضحة لا تحتاج إلى تقليد مثل أصول كثير من الأحكام كوجوب الصلاة والصوم والحج والزكاة والخمس وجملة من حدودها وتفاصيلها.

الثاني: أمور أخرى نظرية تحتاج إلى خبرة واطلاع من جهات، منها:

١- التوثق من صدور النص الذي لا يكون ثبوته واضحاً على حدّ ثبوت القرآن الكريم.

٢- دلالته عندما لا تكون صريحة وثابتة عبر الأزمان.

٣- كيفية التعامل مع النصوص التي قد تبدو متعارضة.

فإنّ من الواضح أنّ النصوص ليست كلها ثابتة ثبوتاً قطعياً وبديهياً، ولا كلّ دلالات النصوص الثابتة كذلك، ولو فرض أن جميع النصوص قطعية، فلا أقل من إحراز هذا الأمر وهو قطعية هذه النصوص كلها ووضوح دلالتها يحتاج إلى

ممارسة وخبرة واطلاع.

وأمّا وجوب التقليد على المكلف في شأن المسائل النظرية الفقهية فهو لعدة أمور:

١- إن رجوع غير المتخصص إلى المتخصص في مجال تخصصه مبدأ عقلائي معروف، ولم يأتِ عن الشارع ردع لأهل الدين عن هذا المبدأ واعتماد مبدأ آخر.

٢- إنّ اكتساب الخبرة الفقهية من قبل الناس جميعاً ومنذ بداية بلوغهم سن التكليف والرشد بحيث يبلغون متخصصين لكي لا يحتاجوا إلى الاستعانة بغيرهم أمر متعذّر بوضوح.

٣- إنّ سيرة شيعة أهل البيت عليهم السلام كانت مستقرة على الرجوع إلى الفقهاء الذين يعيشون في بلدانهم في عصر الأئمة عليهم السلام مثل: زرارة بن أعين ومحمد بن مسلم وأضرابهما بالنظر إلى بعد مواطن الأئمة عليهم السلام عن أماكن سكنى الشيعة، وتعذّر وصول الشيعة إليهم من جهة إعاقة السلطة لذلك، فقد عاش جل أئمة أهل البيت عليهم السلام بالمدينة المنورة، ثم مروا بخراسان، ثم بغداد، ثم سامراء، بينما كان أكثر الشيعة يسكنون بالكوفة، وفيهم من كانوا يسكنون في أماكن بعيدة أخرى.

٤- إن الأئمة عليهم السلام أرجعوا في روايات كثيرة إلى فقهاءِ أصحابهم، وذكروا إرشادات للاستنباط الفقهي بشكل عام وفي حال تعارض الأخبار خاصة.

هذا، ولابد لكل مسلم أن يتحرى عن الأساس الصحيح الذي يصح الاعتماد عليه في موارد الشك ليكون حجة معذرة له غداً أمام الله سبحانه.

ولا مانع من أن يتبين المرء من الأمر عند طروّ الشبهة وإثارة الفتنة، لكن لا ينبغي أن يتّبع الشبهة من دون تحقق منها أو يتوقف عندها ولا يعالجها فيستقر على الشك والترديد، بل عليه الرجوع إلى أهل العلم والفضيلة حتى يوقفوه على الحجة الموثوقة ليكون مصداقاً للمتعلمين في الدين على سبيل نجاة.

[المعرفة الدينية]

اوراد تاريخية

فائدة غديرية

الشيخ محمد بن علي الكراكجي

ما الحجة على أنّ لفظة (مولى) تحتمل (أولى) وأنها أحد أقسامها؟

الجواب عن هذا السؤال:

أمّا الحجة على أنّ لفظة «مولى» تحتمل «أولى» وأنها أحد أقسامها، فليس يطالب بها أيضاً منصف كان له أدنى الاطلاع في اللغة، وبعض الاختلاط بأهلها؛ لأن ذلك مستفيض بينهم، غير مختلف عندهم، وجميعهم يطلقون القول فيمن كان أولى بشيء أنه مولاه.

وأنا أوضح لك أقسام «مولى» في اللسان لتعلمها على بيان.

اعلم أنّ لفظة «مولى» في اللغة تحتمل عشرة أقسام:

أولها: «الأولى»، وهو الاصل الذي ترجع إليه جميع الأقسام، قال الله تعالى: ﴿ فَالْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنْكُمْ فِدْيَةٌ وَلَا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مَأْوَاكُمُ النَّارُ هِيَ مَوْلَاكُمْ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴾[1].

يريد سبحانه هي أولى بكم على ما جاء في التفسير[2] وذكره أهل اللغة[3].

---

(١) سورة الحديد: الآية ١٥.

(٢) تفسير الطبري: ج٢٧، ص١٣١.

(٣) معاني القرآن للفراء: ص٣، ص١٣٤؛

وقد فسّره على هذا الوجه أبو عبيدة معمر بن المثنى في كتابه المعروف بالمجاز في القرآن[1]، ومنزلته في العلم بالعربية معروفة، وقد استشهد على صحة تأويله ببيت لبيد:

فغدت كلا الفرجين تحسب أنه

مولى المخافة خلفها وامامها.

يريد أولى المخافة، ولم ينكر على أبي عبيدة أحد من أهل اللغة.

وثانيها: مالك الرق، قال الله سبحانه: ﴿ضَرَبَ اللهُ مَثَلًا عَبْدًا مَمْلُوكًا لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿شَيْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَى مَوْلَاهُ﴾[2].

يريد مالكه، واشتهار هذا القسم يغني عن الإطالة فيه.

وثالثها: المعتق[3].

ورابعها: المعتق[4]، وذلك أيضاً مشهور معلوم.

وخامسها: ابن العم[5] قال الشاعر:

مهلا بني عمنا مهلا موالينا

(لا تنشروا بيننا) ما كان مدفونا[6]

وسادسها: الناصر، قال الله عز وجل: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللهَ مَوْلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لَا مَوْلَى لَهُمْ﴾[7]. يريد لا ناصر لهم[8].

وسابعها: المتولي لضمان الجريرة ومن يحوز الميراث.

قال الله عز وجل: ﴿وَلِكُلٍّ جَعَلْنَا مَوَالِيَ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَالَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَانُكُمْ فَآتُوهُمْ نَصِيبَهُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا﴾[9].

الصحاح ولي: ج٦، ص٢٥٢٨.

(١) مجاز القرآن: ج٢، ص٢٥٤.

(٢) سورة النحل: الآيتان ٧٥ـ٧٦.

(٣) أحكام القرآن للقرطبي: ج٥، ١٦٦؛ الصحاح ولي ٦: ٢٥٢٩، وفي الحديث: نهى عن بيع الولاء وعنه هبته.

(٤) أحكام القرآن للقرطبي: ج٥، ص١٦٦؛ الصحاح ولي: ج٦، ص٢٥٢٩.

(٥) مجاز القرآن:ج١، ص١٢٥؛ أحكام القرآن للجصاص: ج٢، ص١٨٤؛ تفسير الطبري: ج٥، ص٣٢.

(٦) مجاز القرآن: ج١، ص١٢٥؛ أحكام القرآن للجصاص: ج٢، ص١٨٤.

(٧) سورة محمد ﷺ: ١١.

(٨) تفسير الطبري: ج٣٠، ص٢٥؛ زاد المسير: ج٧ص٤٠٠، التفسير الكبير للرازي: ج٢٨ص٥٠.

(٩) سورة النساء: الآية ٣٣.

وقد أجمع المفسّرون على أنّ المراد بالموالي ها هنا من كان أملك بالميراث، وأولى بحيازته[1].

قال الأخطل:

فأصبحت مولاها من الناس بعده

وأحرى قريش أن تهاب وتحمدا

وثامنها: الحليف.

وتاسعها: الجار[2].

وهذان القسمان أيضاً معروفان.

وعاشرها: الإمام السيد المطاع[3]، وسيأتي الدليل عليه في الجواب عن السؤال الرابع إن شاء الله تعالى.

فقد اتضح لك بهذا البيان ما تحتمله لفظة «مولى» من الأقسام، وأن «أولى» أحد محتملاتها في معاني الكلام، بل هي الأصل وإليها يرجع معنى كل قسم؛ لأن مالك الرق لما كان أولى بتدبير عبده من غيره كان لذلك مولاه.

والمعتق لما كان أولى بميراث المعتق من غيره كان مولاه.

والمعتق لما كان أولى بمعتقه في تحمله جريرته، وألصق به من غيره كان مولاه.

وابن العم لما كان أولى بالميراث ممن هو أبعد منه في نسبه، وأولى أيضاً من الأجنبي بنصرة ابن عمه، كان مولى.

والناصر لما اختص بالنصرة وصار بها أولى، كان لذلك مولى.

وإذا تأملت بقية الأقسام وجدتها جارية هذا المجرى، وعائدة بمعناها إلى «الأولى»، وهذا يشهد بفساد قول من زعم أنه متى أريد بمولى «أولى» كان ذلك مجازاً، وكيف يكون مجازاً وكل قسم من أقسام «مولى» عائد إلى معنى الأولى؟! وقد قال الفراء في كتاب (معاني القرآن): أنّ الولي والمولى في كلام العرب واحد[4]

الجواب عن السؤال الثالث: إذا ثبت أنها أحد محتملاتها، فما الحجة على أن المراد بها في الخبر «الأولى»

(١) معاني القرآن للزجاج: ج٢ص٤٦، تفسير الطبري: ج٥ص٣٢، مجاز القرآن: ج١ص١٢٤، تفسير الرازي: ج١٠ ص٨٤.

(٢) الصحاح: ج٦ ص٢٥٢٩.

(٣) الصحاح: ج٦ ص٢٥٣٠.

(٤) معاني القرآن ج٣ ص٥٩.

دون ما سوى ذلك من أقسامها؟ فأما الحجة على ان المراد بلفظة «مولى» في خبر الغدير «الأولى» فهي أن من عادة أهل اللسان في خطابهم، إذا أوردوا جملة مصرحة وعطفوا عليها بكلام محتمل لما تقدم به التصريح ولغيره، فإنهم لا يريدون بالمحتمل إلا ما صرحوا به من الخطاب المتقدم.

مثال ذلك: أنّ رجلاً لو أقبل على جماعة فقال: ألستم تعرفون عبدي فلاناً الحبشي؟ ثم وصف لهم أحد عبيده وميزه عنهم بنعت يخصه صرح به، فإذا قالوا: بلى، قال لهم عاطفاً على ما تقدّم: فاشهدوا أنّ عبدي حر لوجه الله عز وجل، فإنه لا يجوز أن يريد بذلك إلّا العبد الذي سمّاه وصرّح بوصفه دون ما سواه، ويجري هذا مجرى قوله: فاشهدوا أنّ عبدي فلاناً حر، ولو أراد غيره من عبيده لكان ملغزا غير مبين في كلامه.

وإذا كان الأمر كما وصفناه، وكان رسول الله ﷺ لم يزل مجتهدا في البيان، غير مقصر فيه عن الإمكان، وكان قد أتى في أول كلامه يوم الغدير بأمر صرح به، وقرر أمته عليه، وهو أنه أولى بهم منهم بأنفسهم، على المعنى الذي قال الله تعالى في كتابه: ﴿النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ﴾[1] ثم عطف على ذلك بعد ما ظهر من اعترافهم بقوله: «فمن كنت مولاه فعلي مولاه» وكانت «مولاه» تحتمل ما صرح به في مقدمة كلامه وتحتمل غيره، لم يجز أن يريد إلا ما صرّح به في كلامه الذي قدمه، وأخذ إقرار أمته به دون سائر أقسام «مولى»، وكان هذا قائما مقام قوله «فمن كنت أولى به من نفسه فعلي أولى به من نفسه»، وحاشا لله أن لا يكون الرسول ﷺ أراد هذا بعينه.

ووجه آخر: وهو أن قول النبي ﷺ: «فمن كنت مولاه فعلي مولاه» لا يخلو من حالين: إما أن يكون أراد «بمولى» ما تقدّم به التقرير من «الأولى»، أو يكون أراد قسماً غير ذلك من أحد محتملات «مولى».

فإن كان أراد الأول، فهو ما ذهبنا

(١) الأحزاب: ٦.

إليه واعتمدنا عليه، وإن كان أراد وجهاً غير ما قدمه من أحد محتملات «مولى» فقد خاطب الناس بخطاب يحتمل خلاف مراده، ولم يكشف لهم فيه عن قصده، ولا في العقل دليل عليه يغني عن التصريح بمعنى ما نحا إليه، وهذا لا يجيزه على رسول الله ﷺ إلّا جاهل لا عقل له.

إنا إذا اعتبرنا ما تحتمله لفظة (مولى) من الأقسام، لم نر فيها ما يصح أن يكون مراد النبي ﷺ إلّا ما اقتضاه الإمامة والرئاسة على الأنام، وذلك أن أمير المؤمنين عليه السلام لم يكن مالكا لرق كل من ملك رسول الله ﷺ رقه، ولا معتقاً لكل من أعتقه، فيصح أن يكون أحد هذين القسمين المراد، ولا يصح أن يريد المعتق لاستحالة هذا القسم فيها على كل حال، ولا يجوز أن يريد ابن العم والناصر، فيكون قد جمع الناس في ذلك المقام ويقول لهم: (من كنت ابن عمه فعلي ابن عمه!) أو: (من كنت ناصره فعلي ناصره!) لعلمهم ضرورة بذلك قبل هذا المقام، ومن ذا الذي يشك في أن كل من كان رسول الله ﷺ ابن عمه فإن عليا عليه السلام كذلك ابن عمه، ومن ذا الذي لم يعلم أن المسلمين كلهم أنصار من نصره النبي ﷺ! فلا معنى لتخصيص أمير المؤمنين عليه السلام بذلك دون غيره. ولا يجوز أن يريد ضمان الجرائر واستحقاق الميراث، للاتفاق على أن ذلك لم يكن واجبا في شيء من الأزمان وكذلك لا يجوز أن يريد الحليف؛ لأن علياً عليه السلام لم يكن حليفاً لجميع حلفاء رسول الله ﷺ.

فإذا بطل أن يكون مراده ﷺ شيئاً من هذه الأقسام، لم يبق إلّا أن يكون قصد ما كان حاصلاً له من تدبير الأنام، وفرض الطاعة على الخاص والعام، وهذه هي رتبة الإمام، وفيما ذكرناه كفاية لذوي الأفهام.

[دليل النص بخبر الغدير]

السيد محمد رضا السيستاني

يتداول في كلمات الرجاليين كالكشي والشيخ والنجاشي وابن الغضائري توصيف العديد من الرواة بأنهم من الغلاة، وبنى غير واحد من المتأخرين على أن المراد بالغلو عندهم هو ما يعم الاعتقاد في الأئمة عليهم السلام بالمقامات العالية، واستشهدوا لذلك بما حكاه الصدوق عن شيخه ابن الوليد: من أنّ أول درجة في الغلو هو نفي السهو عن النبي صلى الله عليه وآله[1].

ولكن الصحيح ـ كما نبّه عليه المحقّق التستري (طاب ثراه) ـ أن المقصود به هو الاعتقاد في الأئمة عليهم السلام بالربوبية أو النبوة أو الاعتقاد بكفاية محبتهم عن أداء الفرائض

(١) أوائل المقالات للمفيد: ص١٧١.

واجتناب الكبائر.[1]

ويشهد لهذا عدد من الروايات وجملة من كلمات الأصحاب..

فقد روى الصدوق بإسناده عن إبراهيم بن أبي محمود قال: قلت للرضا عليه السلام: يا ابن رسول الله إن عندنا أخباراً في فضائل أمير المؤمنين عليه السلام وفضلكم أهل البيت وهي من رواية مخالفيكم ولا نعرف مثلها عندكم أفندين بها؟ فقال: **يا ابن أبي محمود.. إن مخالفينا وضعوا أخباراً في فضائلنا وجعلوها على ثلاثة أقسام: أحدها الغلو، وثانيها التقصير في أمرنا، وثالثها التصريح بمثالب أعدائنا، فإذا سمع الناس الغلو فينا كفّروا شيعتنا ونسبوهم إلى القول بربوبيتنا، وإذا سمعوا التقصير اعتقدوه فينا وإذا سمعوا مثالب أعدائنا بأسمائهم ثلبونا بأسمائنا.**[2]

وروى الكشي بإسناده عن أبي العلاء الخفاف عن أبي جعفر عليه السلام قال: «**قال أمير المؤمنين عليه السلام: أنا وجه الله، أنا جنب الله، وأنا الأول، وأنا الآخر، وأنا الظاهر، وأنا الباطن، وأنا وارث الأرض، وأنا سبيل الله وبه عزمت عليه**»[3]. فقال معروف بن خربوذ: ولها تفسير غير ما يذهب فيها أهل الغلو.

وروى السيد ابن طاووس بإسناده عن الحسين بن أحمد المالكي قال: «قلت لأحمد بن هليل الكرخي: أخبرني عما يقال في محمد بن سنان من أمر الغلو. فقال: معاذ الله، هو والله علمني الطهور، وحبس العيال، وكان متقشفاً متعبداً»[4].

وقال أبو عمرو الكشي: وقالت فرقة بنبوة محمد بن نصير النميري، وذلك أنه ادعى أنه نبي رسول، وأن علي بن محمد العسكري عليه السلام أرسله، وكان يقول بالتناسخ والغلو في أبي الحسن عليه السلام، ويقول فيه بالربوبية ويقول بإباحة المحارم، ويحلل نكاح الرجال بعضهم بعضاً في أدبارهم، ويقول: إنه من الفاعل والمفعول به

(١) قاموس الرجال ج:١ ص:٦٦.
(٢) عيون اخبار الرضا عليه السلام: ج١، ص٢٧٢.
(٣) اختيار معرفة الرجال: ج٢، ص٤٧١.
(٤) فلاح السائل:ص١٣.

أحد الشهوات والطيبات، وأن الله لم يحرم شيئاً من ذلك[1].

وذكر الكشي أنه سأل محمد بن مسعود العياشي عن أحوال عدد من الرجال، فقال في ضمن جوابه: «**وأمّا علي بن عبد الله بن مروان فإنّ القوم ـ يعني الغلاة ـ يمتحنون في أوقات الصلاة، ولم أحضره في وقت صلاة**»[2].

وروى ابن الغضائري عن الحسن بن محمد بن بندار القمي قال: سمعت مشايخي يقولون: إن محمد بن أورمة طعن عليه بالغلو اتفقت الأشاعرة ليقتلوه، فوجدوه يصلي الليل من أوله إلى آخره ليالي عديدة فتوقفوا عن اعتقادهم.[3]

فهذه النصوص والكلمات تشير بوضوح إلى أنه كان معنى الغلو عند المتقدمين هو الاعتقاد في الأئمة عليهم السلام بالربوبية ونحو ذلك أو الاعتقاد بكفاية معرفتهم عليهم السلام وعدم الحاجة إلى الإتيان بالصلاة والصيام ولا غيرهما من الفرائض، وأيضاً عدم الضير في ممارسة المحرمات حتى ما يمسّ العِرض والشرف!

وأمّا ما تقدّم من أنّ ابن الوليد كان يعدّ نفي السهو عن النبي صلى الله عليه وآله أول درجة في الغلو، فهو لا يقتضي كون الغلو في كلمات الآخرين بالمعنى المتقدم.

[قبسات في علم الرجال]

(١) اختيار معرفة الرجال: ج٢، ص٨٠٥.
(٢) اختيار معرفة الرجال: ج٢، ص٨١٢.
(٣) رجال ابن الغضائري: ص٩٤.

عدد أنصار المهدي (عليه السلام)

السيد محسن الأمين

روي أن عدة من يخرج معه أولا ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلا بعدة أهل بدر يجتمعون من أقاصي الأرض على غير ميعاد لا يعرف بعضهم بعضا وفي رواية يجمعهم الله بمكة قزعا كقزع الخريف يتبع بعضهم بعضا فيهم خمسون من أهل الكوفة.

ويروى أربعة عشر والباقي من سائر الناس وروي ان بينهم خمسين امرأة وهؤلاء هم خواص أصحابه وروي أنهم حكام الأرض وعماله عليها وبهم يفتح شرق الأرض وغربها.

وروي انه يقبل أولا في خمسة وأربعين رجلا من تسعة احياء من حي رجل ومن حي رجلان وهكذا إلى التسعة ولا يزالون كذلك حتى يجتمع العدد.

وروي ان معه صحيفة مختومة فيها عدد أصحابه بأسمائهم وبلدانهم وطبائعهم وحلاهم وكناهم كدادون مجدون في طاعته وما من بلد إلّا ويخرج معه منهم طائفة الا البصرة فلا يخرج منها معه أحد.

وروي أنه يخرج منها ثلاثة فإذا تم له

هذا العدد أظهر امره ثم يزيدون حتى يبلغوا عشرة آلاف، فإذا بلغوا هذا العدد خرج بهم من مكة ويسمى هذا الجيش جيش الغضب.

وعن الصادق عليه السلام يخرج مع القائم من ظهر الكوفة سبعة وعشرون رجلا، خمسة عشر من قوم موسى عليه السلام الذين كانوا يهدون بالحق وبه يعدلون، وسبعة من أهل الكهف ويوشع بن نون وسليمان وأبو دجانة الأنصاري والمقداد ومالك الأشتر فيكونون بين يديه أنصاراً وحكاماً.

وفي غاية المرام عن أبي جعفر محمد بن جرير الطبري في مسند فاطمة بإسناده عن مسعدة بن صدقة عن أبي بصير عن الصادق عليه السلام وذكر حديثاً فيه أن أمير المؤمنين عليه السلام كان يعلم أصحاب القائم عليه السلام وعدتهم ويعرفهم بأسمائهم وأسماء آبائهم وقبائلهم وحلائلهم ومنازلهم ومراتبهم وكذلك سائر الأئمة عليهم السلام وانه املى على الكاتب: «**هذا ما املى رسول الله صلى الله عليه وآله على أمير المؤمنين عليه السلام وأودعه إياه من تسمية المهدي عليه السلام وعدد من يوافيه من المفقودين عن فرشهم وقبائلهم السائرين في ليلهم ونهارهم إلى مكة عند استماع الصوت وهم النجباء القضاة الحكام على الناس**».

[أعيان الشيعة]

مسلم بن عوسجة الأسدي

العلّامة الشيخ
محمد طاهر السماوي

هو مسلم بن عوسجة بن سعد بن ثعلبة بن دودان بن أسد بن خزيمة، أبو حجل الأسدي السعدي، كان رجلاً شريفاً سرياً عابداً متنسكاً.

قال ابن سعد في طبقاته: وكان صحابياً ممن رأى رسول الله صلى الله عليه وآله، وروى عنه الشعبي. وكان فارساً شجاعاً، له ذكر في المغازي والفتوح الإسلامية، وسيأتي قول شبث فيه.

وقال أهل السير: إنه ممن كاتب الحسين عليه السلام من الكوفة ووفى له، وممن أخذ البيعة له عند مجيء مسلم بن عقيل إلى الكوفة.

قالوا: ولما دخل عبيد الله بن زياد الكوفة وسمع به مسلم خرج إليه ليحاربه، فعقد لمسلم بن عوسجة على ربع مذحج وأسد، ولأبي ثمامة على ربع تميم وهمدان، ولعبيد الله بن عمرو بن عزيز الكندي على ربع كندة وربيعة، وللعباس بن جعدة الجدلي على أهل المدينة، فنهدوا إليه حتى حبسوه في قصره، ثم إنه فرق الناس بالتخذيل عنه، فخرج مسلم من دار المختار التي كان نزلها إلى دار هاني بن عروة، وكان فيها شريك بن الأعور... فأراد عبيد الله أن يعلم بموضع مسلم فبعث معقلا مولاه وأعطاه ثلاثة آلاف درهم وأمره

أن يستدل بها على مسلم، فدخل الجامع وأتى إلى مسلم بن عوسجة فرآه يصلي إلى زاوية فانتظره حتى انفتل من صلاته فسلم عليه ثم قال: يا عبد الله إني امرؤ من أهل الشام مولى لذي الكلاع وقد منَّ الله عليَّ بحبّ هذا البيت وحبّ من أحبّهم فهذه ثلاثة آلاف درهم أردت بها لقاء رجل منهم بلغني أنه قدم الكوفة يبايع لابن رسول الله ﷺ فلم يدلني أحد عليه، فإني لجالس آنفاً في المسجد إذ سمعت نفراً يقولون: هذا رجل له علم بأهل هذا البيت، فأتيتك لتقبض هذا المال وتدلني على صاحبك فأبايعه وإن شئت أخذت البيعة له قبل لقائه، فقال له مسلم بن عوسجة: أحمد الله على لقائك إياي فقد سرني ذلك لتنال ما تحب ولينصر الله بك أهل بيت نبيه ﷺ، ولقد ساءتني معرفتك إياي بهذا الأمر من قبل أن ينمي مخافة هذا الطاغية وسطوته. ثم إنه أخذ بيعته قبل أن يبرح وحلفه بالأيمان المغلظة ليناصحن وليكتمن فأعطاه ما رضي، ثم قال له: اختلف إليّ أياماً حتى أطلب لك الإذن، فاختلف إليه ثم أذن له فدخل، ودل عبيد الله على موضعه، وذلك بعد موت شريك.

قالوا: ثم إن مسلم بن عوسجة بعد أن قُبِضَ على مسلم وهاني وقتلا اختفى مدة ثم فرَّ بأهله إلى الحسين فوافاه بكربلا وفداه بنفسه.

وروى أبو مخنف عن الضحاك بن عبد الله الهمداني المشرقي: أن الحسين خطب أصحابه فقال في خطبته: «**إن القوم يطلبونني ولو أصابوني لهوا عن طلب غيري، وهذا الليل قد غشيكم فاتخذوه جملا، ثم ليأخذ كل رجل منكم بيد رجل من أهل بيتي**»، فقال له أهله وتقدمهم العباس بالكلام: لِمَ نفعل ذلك؟! لنبقى بعدك، لا أرانا الله ذلك أبدا. ثمّ قام مسلم بن عوسجة فقال: أنحن نخلي عنك ولم نعذر إلى الله في أداء حقك؟! أما والله لا أبرح حتى أكسر في صدورهم رمحي وأضربهم بسيفي ما ثبت قائمه بيدي ولا أفارقك، ولو لم يكن معي سلاح

أقاتلهم به، لقذفتهم بالحجارة دونك حتى أموت معك، ثم تكلم أصحابه على نهجه.

قال الشيخ المفيد: ولما أضرم الحسين عليه السلام القصب في الخندق الذي عمله خلف البيوت مر الشمر فنادى: يا حسين أتعجلت بالنار قبل يوم القيامة؟ فقال له الحسين: «**يا بن راعية المعزى، أنت أولى بها طياً**»، فرام مسلم بن عوسجة أن يرميه فمنعه الحسين عليه السلام عن ذلك، فقال له مسلم: إن الفاسق من أعداء الله وعظماء الجبارين، وقد أمكن الله منه، فقال الحسين عليه السلام: «**لا ترمه فإني أكره أن أبدأهم في القتال**».

وقال أبو مخنف: لما التحم القتال حملت ميمنة ابن سعد على ميسرة الحسين، وفي ميمنة بن سعد عمرو بن الحجاج الزبيدي، وفي ميسرة الحسين زهير بن القين، وكانت حملتهم من نحو الفرات فاضطربوا ساعة، وكان مسلم بن عوسجة في الميسرة، فقاتل قتالاً شديداً لم يسمع بمثله، فكان يحمل على القوم وسيفه مصلت بيمينه فيقول:

إن تسألوا عني فإني ذو لبد
وإن بيتي في ذرى بني أسد
فمن بغاني حائد عن الرشد
وكافر بدين جبار صمد

ولم يزل يضرب فيهم بسيفه حتى عطف عليه مسلم بن عبد الله الضبابي وعبد الرحمن بن أبي خشكارة البجلي، فاشتركا في قتله، ووقعت لشدة الجلاد غبرة عظيمة، فلما انجلت إذا هم بمسلم بن عوسجة صريعاً، فمشى إليه الحسين عليه السلام فإذا به رمق، فقال له الحسين عليه السلام: **رحمك الله يا مسلم ﴿ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلا ﴾**...

قال: فما كان بأسرع من أن فاظ بين أيديهم، فصاحت جارية له: واسيداه يا بن عوسجتاه فتباشر أصحاب عمر بذلك، فقال لهم شبث بن ربعي: ثكلتكم أمهاتكم إنما تقتلون أنفسكم بأيديكم، وتذلون أنفسكم لغيركم، أتفرحون أن يقتل مثل مسلم ابن عوسجة؟ أما والذي

أسلمت له، لرب موقف له قد رأيته في المسلمين كريم، لقد رأيته يوم سلق آذربايجان قتل ستة من المشركين قبل أن تتام خيول المسلمين، أفيقتل منكم مثله وتفرحون؟!

وفي مسلم بن عوسجة يقول الكميت بن زيد الأسدي: وإن أبا حجل قتيل مجحل وأقول أنا:

إن امرءا يمشي لمصرعه
سبط النبي لفاقد الترب
أوصى حبيبا أن يجود له
بالنفس من مقة ومن حب
أعزز علينا يا بن عوسجة
من أن تفارق ساحة الحرب
عانقت بيضهم وسمرهم
ورجعت بعد معانق الترب
أبكي عليك وما يفيد بكا
عيني وقد أكل الأسى قلبي

[إبصار العين في أنصار الحسين عليه السلام]

حصاد الدرس

خالد محمد خالد

وانتهى كل شيء، ليبدأ كل شيء، انتهى اليوم الرهيب بآلامه وأمجاده.. ليبدأ من جديد بدروسه وبحصاده!

ولقد ألف المؤرّخون والكتّاب أن يتمثّلوا حصاد كربلاء، فيما أصاب قتلة (الحسين) بعد حين، من قتل وتدمير... ثم فيما شاده المطالبون بثأره من إمبراطوريات ودول سادت الأرض وعمرتها قرونا طوالا..

أمّا نحن، فلنا وجهة نظر تختلف تماماً..

فصحيح أن جميع الذين اشتركوا في قتله وقتاله، لقوا حتفهم على أبشع الصور وأشدها مذلة وهوانا.. كلهم، من ابن زياد، إلى شمر بن ذي الجوشن، إلى آخر واحد من الذين تحمسوا للباطل، ووقفوا من ابن بنت الرسول موقف التحدي والعدوان.

ومن عجب أن التاريخ تتبع مصارعهم، فإذا هم جميعا يقتلون فارين هاربين!

ليس فيهم من مات ميتة رجل... وكأنما كانت هذه أولى بشائر دعوة (الحسين) عليهم حين صاح فيهم، وهو صامد وحده وسط سيوفهم ورماحهم قائلاً: «**إني لأرجو الله أن يكرمني**

بهوانكم»!

كلهم قتلوا وديست جيفهم بالأقدام.. ما عدا يزيد.. فقد ضن عليه القدر بأن يذهب قتيل ثورة أو مقاومة، إذ إن ذلك كان سيضعه إلى حد ما، في الكفة المقابلة للحسين عليه السلام.

كان الناس سيتحدثون: أن داعية الحق قتل استشهادا.. وأن ملك بني أمية قتل عقوبة، وقصاصا.. وهذه مقابلة قد تجعل منه على صورة ما، ندا أو كفؤا.. الأمر الذي صمم القدر على حرمانه منه، فتركه يعيش أربع سنوات تعيسا مفزعا.. ثم يموت في يأس، وهوان، ونسيان!

نقول: صحيح أن قتلة (الحسين) لقوا جميعا شر مصرع وأسوأ نهاية. لكن ذلك لا يدخل في حسابنا بحال، ونحن نتتبع الحصاد العظيم ليوم (كربلاء).

فليس لمقتل أولئك الأشقياء شأن يرتفع إلى مستوى ذلك الحصاد.. ولا يكفر عن دماء الرجال، بدماء الأنذال!

كذلك لا يدخل في حسابنا لحصاد كربلاء، تلك الدنيا الهائلة الحافلة التي شادوها المطالبون بثأر البطل من عباسيين، وفاطميين، وعلويين.. فإن تلك الدنيا التي شادوه بكل إمبراطورياتها ودولها وسلطانها. لا ترتفع إلى مستوى الجوهر النضير لتضحية (الحسين) وحياته، وثباته.. وبالتالي، لا نستطيع أن نعتبرها مثوبة لتلك التضحيات وذلك الثبات.

إن حصاد تضحيته وتضحية رفاقه، ليجاوز ذلك كله إلى غايات أبعد، وأمجد، وأسمى..

وإن الدرس الذي يلقيه يوم كربلاء بآلامه، وبطولاته.. بمأساته وعظمته، ليتفوق على نظرائه في قوة النور الباهر الذي أضاء به ضمير الحياة.

والآن، فإن علينا أن نتتبع مواطن العظمة والعبرة في ذلك الحصاد.

وأول ما يلقانا في هذا السبيل، هو أن جذوة الحق والصمود

التي أضاءها الحسين وأصحابه بدمائهم، لم تنطفئ ولم يخب نورها باستشهاده، بل ازدادت ألقا واندلاعا على نحو يبهر الألباب!

وتمثل، وأبهى ما تمثل في أخته العظيمة (زينب)، وفي ابنه (علي) وهو غير (علي) الأكبر الذي استشهد مع أبيه.

لقد توقعت الدنيا أن تحني الكارثة جباه من بقي من آل بيت الحسين..

ولكن الطاهرة البتول (زينب بنت علي) وحفيدة الرسول، سرعان ما ردت للدنيا صوابها، حين أرتها من عظمة هذا البيت كل عجيب..

لقد أخذ - عمر بن سعد - قائد جيش ابن زياد.. أخذ معه إلى الكوفة أهل بيت البطل الشهيد من سيدات وأخوات، وأطفال.. وأراد أن تكون له فضيلة وسط يومه الكئيب المظلم في كربلاء، فحافظ على أهل بيت البطل، وأكرمهم، وصانهم من كل سوء.

وتوقع ابن زياد قبل أن يواجه آل بيت الحسين، أنه سيلقى انكساراً وضياعاً يستدران عطف قلبه الجبان.

لكن (أخت الحسين)، البطلة.. أخت البطل.. وبنت البطل.. علمته - إن كان لمثله أن يتعلم - أن الهزيمة التي يتفجع لها الناس ويستكينون، إنما هي هزيمة الروح وما كان ولا يكون لدعاة الحق وحملة راياته أن تنهزم أرواحهم أبدا ولا أن تنحني جباههم أبدا..!

[أبناء الرسول في كربلاء]

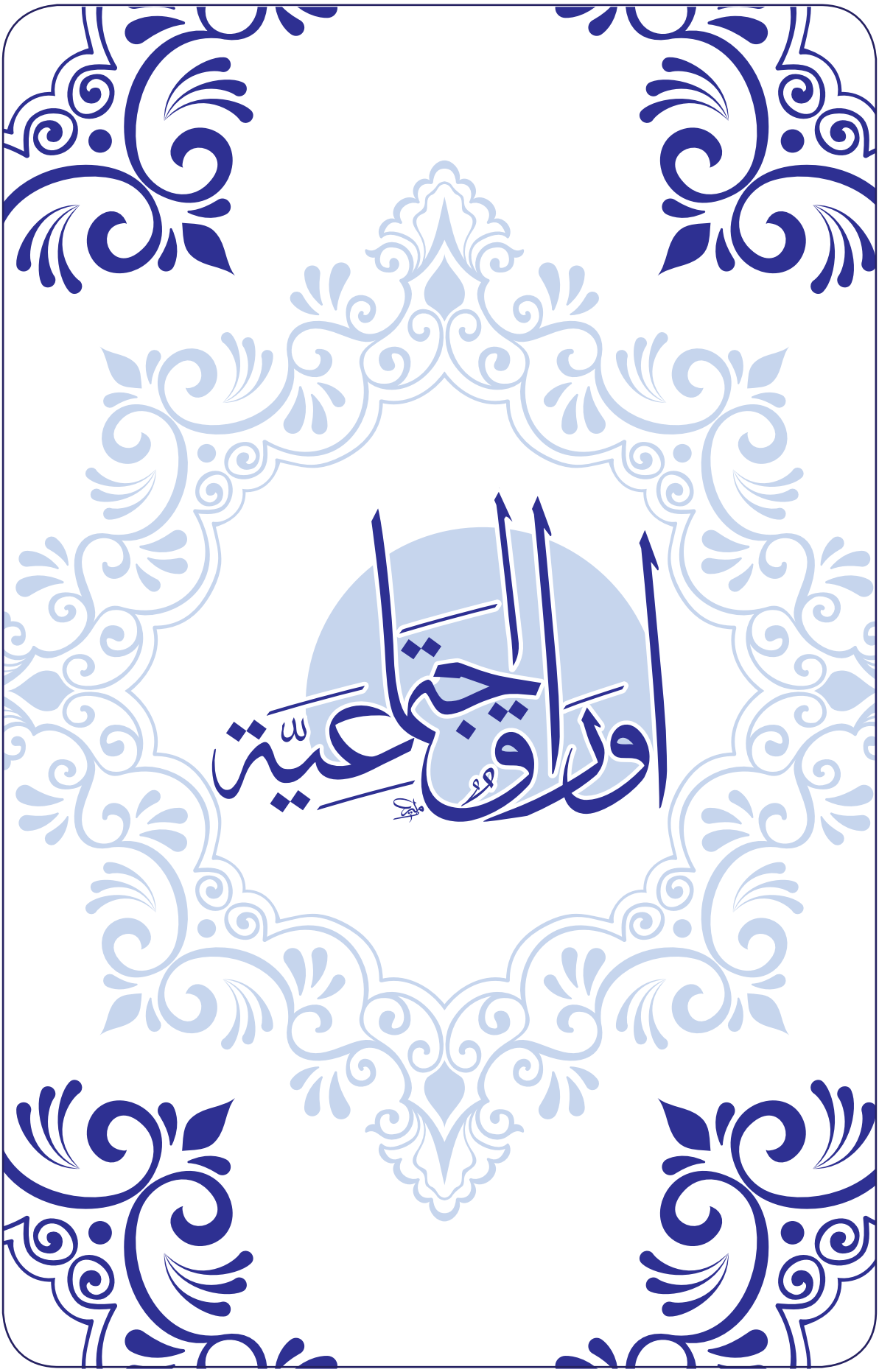
اوراق اجتماعية

الدعاء جوهر العبادة

الشيخ محمد مهدي الآصفي

الدعاء جوهر العبادة وروحها، فإن الغاية من خلق الإنسان العبادة: والغاية من العبادة الانشداد إلى الله. والدعاء يحقّق هذا الانشداد والارتباط من أوسع الأبواب، وبأقوى الوسائل.

وقد روي عن رسول الله صلى الله عليه وآله: «**الدعاء مخ العبادة؛ ولا يهلك مع الدعاء أحد**»[1].

وروي عن رسول الله صلى الله عليه وآله أيضاً: «**افزعوا إلى الله في حوائجكم، والجؤوا إليه في ملماتكم، وتضرّعوا إليه، وادعوه؛ فإنّ الدعاء مخ العبادة وما من مؤمن يدعو الله إلّا استجاب؛ فإمّا أن يعجله له في الدنيا، أو يؤجّل له في الآخرة، وإمّا أن يكفر عنه من ذنوبه بقدر ما دعا؛ ما لم يدع بمأثم**»[2].

(١) بحار الأنوار: ٩٣: ٣.

(٢) بحار الأنوار: ٩٣: ٢. ٣.

وتكاد الرواية ترينا طريقة حركة الانسان إلى الله في الدعاء واقباله عليه.

تأملوا:

«**افزعوا إلى الله في حوائجكم**»، «**والجأوا إليه في ملماتكم**»، «**وتضرّعوا إليه**».

وفي رواية أخرى عن رسول الله صلى الله عليه وآله: «**الدعاء سلاح المؤمن وعماد الدين**».

وإنما كان الدعاء (عماد الدين)؛ لأنه قوام الدين وهو التحرك إلى الله والدعاء اقبال على الله.

ولما كانت حقيقة الدعاء هي الاقبال على الله كان الدعاء أحب شيء الى الله وأكرم شيء عنده.

عن رسول الله صلى الله عليه وآله: «**ما من شيء اكرم على الله تعالى من الدعاء**».

وعن حنان بن سدير عن أبيه، قال: قلت للباقر عليه السلام؛ أي العبادة أفضل؟ فقال: «**ما من شيء أحبّ إلى الله من أن يسأل ويطلب ما عنده؛ وما أحد ابغض إلى الله عز وجل ممن يستكبر عن عبادته ولا يسأله ما عنده**».

[الدعاء عند أهل البيت]

تسخير الله التجار لجلب الطعام

الشيخ المولى النراقي

ثم جميع الأطعمة لما لم يمكن أن يوجد في كل مكان وبلد، إذ لكل واحد شروط مخصوصة لأجلها، لا يمكن إلّا أن يوجد في بعض الأماكن دون بعض، والناس منتشرون على وجه الأرض، وقد يبعد عنهم بعض ما يحتاجون إليه من الأطعمة، بحيث تحول بينهم و بينها البراري والبحار، فسخر الله- تعالى- التجار، وسلط عليهم حرص المال وشره الربح، حتى يقاسوا الشدائد، ويركبوا الأخطار في قطع المفاوز وركوب البحار، فيحملون الأطعمة وأنواع الحوائج من الشرق إلى الغرب، ومن الغرب إلى الشرق. فانظر كيف علمهم الله صناعة السفن وكيفية الركوب فيها، وكيف خلق الحيوانات وسخرها للحمل والركوب في البوادي والجبال، من الجمال وكيفية قطعها البراري والمراحل تحت الأعباء الثقيلة وصبرها على الجوع والعطش، ومن الخيل وكيفية سرعة سيرها وحركاتها، ومن الحمار وصبره على التعب، وانظر كيف خلق الله ما يحتاج إليه السفن و هذه الحيوانات من الأسباب والغذاء، و ينتهي إلى حد لا يمكن تحديده.

[جامع السعادات]

أصول العلاج عند الخلقيين

الشيخ محمد أمين زين الدين

«**أقصر نفسك عما يضرها قبل أن تفارقك، واسع في فكاكها كما تسعى في طلب معيشتك، فإن نفسك رهينة بعملك**». الإمام الصادق عليه السلام.

نجد أنّ الأدواء التي تحدث في الجسد تكون مبغوضة للإنسان، ولا يمكن أن تكون مرغوبة له إلّا في أحوال استثنائية لا يصح القياس عليها، ونجد أدواء النفس على العكس من ذلك مرضية للنفس ومحبوبة لها عند أكثر الناس. والسر في هذا الحب العجيب أن هذه الأدواء تكفل للنفس بعض مشتهياتها وتحقق لها بعض ميولها ورغباتها، والنفس تألفها لهذه اللذات الزائفة، وإن كانت أدواء فاتكة وسموماً قاتلة، وقد يبلغ الأمر ببعض النفوس الوضيعة أن تنفر من الخلق الكريم؛ لأنه يمنعها عن تحصيل هذه اللذات.

أدواء الجسد في الأكثر تصحب آلاماً محسوسة والإنسان يمقتها؛ لأنه يحس بآلامها. أما أدواء النفس فلا تكون كذلك؛ لأنها تسبب آلاماً معنوية وانحطاطاً كمالياً، وقصير النظر لا يعبأ بهذا النقص، ولا يعتني بهذا الألم؛ لأنه يجهل ما يسميه الخاصة كمالاً أو رقياً معنوياً.

١- وإذن فأول علاج يصفه علم

الأخلاق لهذه الأدواء هو العلم؛ لأنه يرفع النفس من هذه الضعة، وينقذها من هـذا الانحطاط، وهـو الحاسة الدقيقة التي يدرك بها الإنسان لذة الكمال وألـم الشقاء، وقـد سمعنا أحـاديـث الإمــام الصادق عليه السلام في العلم.

٢- للباحث الخلقي غايتان متساويتان في الأهمية: (أ) تهذيب الملكات السالفة وإحالتها إلى أخـلاق صـحـيـحـة.(ب) احتفاظ الإنـسـان بأخلاقه الصحيحة بعد التهذيب.

فـالاعـتـدال الخلقي جهاد في جميع أدواره، وهو جهاد؛ لأنه خروج على غريزة وتمرد على قـوة، وهو جهاد؛ لأنه إرغام إراده وقسر عادة، وهو جهاد؛ لأنه حمل للنفس على ما تكره، وصرف لها عما تحب، وهو جهاد، لأن الفضائل أوساط، ومعرفة هذه الأوساط تستدعي حزماً والإقامة عليها تستدعي عناءً، وهو قبل هذا كله جهاد؛ لأنه بحث عن عيوب النفس المحبوبة، والحب كما في المثل المشهور: يعمي ويصم. وإذا كانت للنفس رغبات وأهواء تزاحم الخلق الصحيح في ابتداء تكوينه، فإن لها نظائر من هذه الرغبات تزاحم الخلق الصحيح في أوقاته الأخرى والنفس من أجل هذه الرغبات المتزاحمة في جهاد متواصل.

ومعنى هذا أن العلاج الخلقي في جميع أدواره يعتمد على الصبر والثبات، فبالصبر تغرس الفضيلة في النفس، والصبر هو الذي يتعاهدها لتنمو وينميها والصبر هو العدة التي يتدرع الإنسان بها أمـام الأخطار، وهو الخلق الأول الذي يجب تهذيبه ليكون عوناً على تهذيب غيره، وهذا هو معنى قول الإمـام الصادق عليه السلام: «**الصبر من الإيمان بمنزلة الـرأس من الجسد، فإذا ذهب الرأس ذهب الجسد كذلك إذا ذهب الصبر ذهب الإيمان**» وهو معنى قوله أيضاً: «**رأس طاعة الله الصبر والرضا عن الله فيما أحب العبد أو كره**».

الـصـبـر وقــوف الـنـفـس أمـام الشدائد، وثباتها عند هجوم النوازل

فهو فرع من فروع الشجاعة، والشدائد التي تثبت لها النفس قد تكون من الأمور الخارجة عن النفس كصروف الدهر وآلام الحياة، وقد تكون من الأمور المتعلقة بالنفس كالآلام التي تحصل من مكافحة طغيان الشهوة وجموع الغضب، والثبات عند جميع هذه الآلام شجاعة.

الصبر على جهاد قوة الشهوة شجاعة لا عفة، ولكن ثمرة هذا الجهاد هي العفة، والصبر على كفاح قوة الغضب شجاعة وثمرة هذا الكفاح شجاعة أخرى.

في العلاج الخلقي مصائب، وهو جهاد مستمر، ولكن هذه المصائب لا تحد من قدرة الإنسان شيئاً فالشخص حين يصدر العمل قادر على تركه، وهو حين تركه مختار في فعله.

في وسع الإنسان أن يفكر في غايات أعماله فيحترز عن العمل القبيح، وأخيراً عن الخلق الذميم. في وسعه أن يفكر في غاية العمل قبل إصداره، ثم هو في سعة من الفعل أو الترك؛ لأن له إرادة واختياراً. وإذا استطاع أن يخالف الملكة في المرة الأولى كانت مخالفتها في المرة الثانية عليه أسهل، وهي في المرة الثالثة أخف مؤونة وأكثر سهولة. وهكذا تأخذ الشدة بالضعف وتعود الملكة الثابتة حالة زائلة، ويصبح الخلق السيئ أثراً بعد عين.

وليحذر أن تغلبه العادة الأولى قبل أن يكمل التمرين على مخالفتها، فإنها إذا غلبته مرة أفسدت عليه كثيراً من عمله واحتاج إلى كفاح جديد، والإمام الصادق عليه السلام يشير إلى هذا الطريق من المجاهدة بقوله: «**قف عند كل أمر حتى تعرف مدخله من مخرجه قبل أن تقع فيه فتندم**»، وقوله: «**إياك و مرتقى جبل سهل إذا كان المنحدر وعراً**».

٣- في وسع الإنسان الحازم أن يقف من نفسه موقف المحاسب الشحيح، فيستعرض صفاتها بالنقد والتمحيص، وسيوقفه الفحص على مواضع الخلل من ملكاته، ومن السهل عليه بعد هذا أن يوجد في

نفسه شوقاً إلى الفضيلة التي تباين ذلك الخلق السيئ الـذي عرفه من نفسه، فإذا أوجد في نفسه هذا الشوق فقد تم له كل شيء.

أما معرفة عيوب النفس فسنذكر لها طرقاً عديدة بعد هذا، وأما الشوق إلى الفضيلة فسبيله الفكر.

ليحدث الإنسان نفسه بمحاسن تلك الفضيلة، وما تعقبه من آثار طيبة، وعاقبة حميدة وما يناله أصحابها من مكانة سامية وشـأن كبير، ليحدث نفسه بذلك، وليثق ان الشوق يحصل له قطعاً؛ لأن النفس تحب الكمال وتطمح إلى الارتقاء، ومن الخير له ان يطيل التفكير بذلك، لتثبت الرغبة ويتأكد الميل.

وإذا تـم للإنسان النجاح في هاتين المرحلتين فليجتهد بعد هذا في الأعمال التي توافق الفضيلة التي اشتاق إليها، وكلما تكرر العمل ثبتت العادة الجديدة، وانهار بناء الخلق القديم.

وقد قال الإمام الصادق عليه السلام في المرحلة الأولـى من هـذا العلاج: «**أنفع الأشياء للمرء سبقه إلى عيب نفسه**»، وقال في المرحلة الثانية منه: «**التفكير يدعو إلى البر والعمل به**» وقال في باب الزهد: «**وإنما أردوا بالزهد الدنيا لتفرغ قلوبهم للآخرة**» والأئمة من أهل البيت عليهم السلام كثيراً ما يعتمدون هذا الطريق في تهذيب الأخلاق، وقد قدمنا للقارئ نموذجاً صغيراً من كلمات الإمام الصادق في ذلك.

٤- ذكر علماء الأخلاق لمعرفة الإنسان عيوب نفسه طرقاً متعددة نشير إلى بعضها فيما يأتي:

(أ) الخلفاء والأصحاب:

يحاول الإنسان أي يرى صورته الظاهرية فيمتنع عليه أن يراها بغير المرآة، ويحاول ان يطلع على عيوب نفسه فيتعذر عليه ذلك بغير الصديق، صديقك غـيرك فـلا يصعب عليه ان يطلع على نقائصك، وقد جعله الحب الصحيح كالجزء منك فهو لا يخفي عليك شيئاً تكرهه من نفسك،

«**ولا خير في صحبة من لم يَرَ لك مثل الذي يرى لنفسه**»، ولذلك شرطوا أن يكون الصديق من أهل الأمانة والدين، وقد سمعنا قول الإمام الصادق عليه السلام: «**أحب أخواني إليَّ من أهدى إليَّ عيوبي**» وهو يقول أيضاً: «**من رأى أخاه على أمر يكرهه فلم يرده عنه وهو يقدر عليه فقد خانه**».

(ب) اجتنب ما تعده قبيحاً من غيرك: تنظر إلى الناس الآخرين فترى عيوباً كثيرة تظهر في أعمالهم وأقوالهم، فإذا أردت إصلاح نفسك فاجتهد أن لا تعمل نظير تلك الأعمال ولا تفكر في وجود تلك النقائص فيك، فإن النفس تنكره إذا كان خفياً، وتعتذر عن ارتكابه إذا كان ظاهراً، فتضيع منك الفرصة، وتذهب عليك الوقت.

(ج) استفد من لسان عدوك ما خفي على عين صديقك.

قد يستر الحب بعض نقائصك على الصديق، وقد يتجاهل بعض عيوبك حذراً من إساءتك، ولكن العدو لا تخفى عليه نقائصك؛ لأنه يراعيك بعين ساهرة، وهو لا يخشى من أن يسيء إليك، فاجتنب عما ينسب إليك من الصفات، والأفعال ولا يضرك أن يكون كاذباً إذا برأت نفسك من العيوب.

(د) إذا اتهمت نفسك بخلق ذميم وأردت موقع هذه التهمة من الصحة فحاول ان توجد عملاً يخالف ذلك الخلق، فإذا صعب عليك العمل فاعلم ان ذلك الخلق من صفاتك.

(هـ) تستطيع النفس أن تخفي نقائصها على الإنسان، ولكنها لا تستطيع أن تخفي عليه ميولها وأهواءها، وهذا الهوى أثر لازم للخلق السيئ فإذا خفيت عليك نقائصك فاجتنب أقرب الأمرين إلى هواك، ويريدون من الأمرين الفعل والترك.

٥ ـ الخوف والرجاء:

الخوف انفعال نفساني يحصل للإنسان أو للحيوان حين يتوقع صدور أمر يكرهه أو فوات شيء

يحبه، وهو إحدى الغرائز التي تولد معه وتنشأ و تصحبه في جميع أحواله، وكم جلبت له هذه الغريزة من خيرات، وكم جنت عليه من شرور. والرجاء هو انتظار النفس حصول أمر ترغب فيه، وموضع الخوف والرجاء في الأكثر هو الشيء إذا كان مشكوك الوقوع. وللإنسان بين هاتين الملكتين شؤون وأطوار، فقد يشتد به الخوف حتى يكون يائساً، وقد يفرط به الرجاء حتى يكسبه تسامحاً وإهمالاً وقد يعتدلان فيكونان مزيجاً خلقياً يبعث إلى العدل ويرشد إلى الخير، وقد قال الإمام الصادق عليه السلام في ذلك: «**أرج الله رجاءً لا يجرِّئك على معاصيه، وخف الله خوفاً لا يؤيِّسك من رحمته**»، وقال: «**لا يكون المؤمن مؤمناً حتى يكون خائفاً راجياً، ولا يكون خائفاً راجياً حتى يكون عاملاً لما يخاف ويرجو**».

الخوف والرجاء صفتان نفسانيتان ولكنهما لا يثمران الخير حتى يكون لهما مظهر في السلوك وتأثير في العمل هذا.

الخوف العملي إذا اشتد يسمّى عند العلماء الخلقيين ورعاً. وإذا اشتد الورع يسمى تقوى: «**وان قليل العمل مع التقوى خير من كثير بلا تقوى**».

[كتاب الأخلاق عند الإمام الصادق(عليه السلام)]

حقوق الزوج

السيد مهدي الصدر

للزوج حقوق على زوجه بحكم رعايته لها وقوامته عليها، وهي:

١ - الطاعة:

وهي أول متطلبات الزوج وحقوقه المفروضة على زوجه. فهي مسؤولة عن طاعته وتلبية رغباته المشروعة، ومفاداة كل ما يسيئه ويغيظه، كالخروج من الدار بغير رضاه، والتبذير في ماله، وإهمال وظائفها المنزلية، ونحو ذلك مما يعرض الحياة الزوجية لأخطار التباغض والفرقة.

فعن أبي جعفر عليه السلام قال: «**جاءت امرأة إلى النبي صلى الله عليه وآله فقالت: يا رسول اللّه، ما حق الزوج على المرأة؟ فقال لها: أن تطيعه ولا تعصيه، ولا تصدق من بيته الا بإذنه، ولا تصوم طوعاً الا بإذنه، ولا تمنعه نفسها وان كانت على ظهر قتب، ولا تخرج من بيتها الا بإذنه، وإن خرجت بغير إذنه لعنتها ملائكة السماء وملائكة الأرض، وملائكة الغضب وملائكة الرحمة حتى ترجع إلى بيتها.**

فقالت: يا رسول اللّه من أعظم الناس

حقاً على الرجل؟

قال: والده.

قالت: فمن أعظم الناس حقاً على المرأة؟

قال: زوجها... »[1].

وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: إن رجلاً من الأنصار على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله، خرج في بعض حوائجه. فعهد إلى امرأته عهداً أن لا تخرج من بيتها حتى يقدم.

قال: وان أباها مرض، فبعثت المرأة إلى رسول اللّه صلى الله عليه وآله فقالت: إن زوجي خرج وعهد إليّ أن لا أخرج من بيتي حتى يقدم، وان أبي قد مرض، فتأمرني أن أعوده؟

فقال رسول اللّه صلى الله عليه وآله: لا، اجلسي في بيتك وأطيعي زوجك.

قال: فثقل، فأرسلت إليه ثانياً بذلك، فقالت: فتأمرني أن أعوده؟

فقال: اجلسي في بيتك وأطيعي زوجك.

قال: فمات أبوها، فبعثت إليه إن أبي قد مات، فتأمرني أن أصلي عليه؟

فقال: لا، اجلسي في بيتك وأطيعي زوجك.

قال: فدفن الرجل، فبعث إليها رسول اللّه صلى الله عليه وآله: إن اللّه تعالى قد غفر لك ولأبيك بطاعتك لزوجك[2].

وقال أبو عبد اللّه عليه السلام: أيّما امرأة باتت وزوجها عليها ساخط في حق، لم تقبل منها صلاة حتى يرضى عنها[3].

٢ - المداراة:

وعلى الزوجة أن تحيط زوجها بحسن العشرة، وجميل الرعاية، ولطف المداراة، وذلك بتفقد شؤونه، وتوفير وسائل راحته النفسية والجسمية، وحسن التدبير المنزلي، ورعاية عياله، ليستشعر منها العطف والولاء، وتغدو الزوجة بذلك حظية عند زوجها، أثيرة لديه، يبادلها الحب والاخلاص. وتكون إلى ذلك قدوة

(١) الوافي: ج ١٢ ص ١١٤، عن الكافي والفقيه.

(٢) الوافي: ج ١٢ ص ١١٥، عن الكافي.

(٣) الوافي: ج ١٢ ص ١١٤، عن الكافي والفقيه.

حسنة لأبنائها، يستلهمون منها كريم الأخلاق وحسن الأدب.

ومن أهم صور المداراة أن تتفادى المرأة جهدها، عن إرهاق زوجها بالتكاليف الباهضة، والمآرب التي تنوء بها امكاناته الاقتصادية، فذلك مما يسبب إرباكه واغتمامه، ومن ثم يستثير سخطه ونفاره من زوجته.

فعن أبي إبراهيم عليه السلام قال: «**جهاد المرأة حسن التبعل**»[1].

ولا ريب أن حسن تبعل الزوجة وكرم أخلاقها، يشدّ أزر الزوج، ويرفع معنوياته، ويمده بطاقات جسمية ونفسية ضخمة، تضاعف من قدرته على مواصلة الكفاح والجهاد في سبيل العيش، ويزيده قوة وصلابة على معاناة الشدائد والأزمات، كما أن شراستها وتمردها يوهن كيانه، ويضعف طاقته، ويهرمه قبل أوان الهرم، وفي التاريخ دلائل وشواهد على ذلك.

(١) الوافي: ج ١٢ ص ١١٤، عن الكافي.

منها: قصة الإخوة الثلاثة من بني غنّام، حينما جاءهم نفر يحكّمونهم في مشكلة أعياهم حلّها، فانتهوا إلى واحد منهم، فرأوا شيخاً كبيراً، فقال لهم: ادخلوا إلي أخي «فلان» فهو أكبر مني، فاسألوه.

فدخلوا عليه، فخرج شيخ كهل، فقال: سلوا أخي الأكبر مني.

فدخلوا على الثالث، فإذا هو في المنظر أصغر. فسألوه أولاً عن حالهم، ثم أوضح مبيناً لهم، فقال: أما أخي الذي رأيتموه أولاً، هو الأصغر، فان له امرأة سوء تسوؤه وقد صبر عليها مخافة ان يبتلى ببلاء لا صبر له عليه، فهرمته.

وأما أخي الثاني فان عنده زوجة تسوؤه وتسره، فهو متماسك الشباب. وأما أنا، فزوجتي تسرني، ولا تسوؤني، لم يلزمني منها مكروه قط منذ صحبتني. فشبابي معها متماسك[2].

[أخلاق أهل البيت عليهم السلام]

(٢) عن سفينة البحار: ج ١ ص ١٣٣ بتصرف واختصار.

طرائف من المجتمع الياباني

سوف أعرض فيما يلي ملخَّصًا لدراسةٍ اجتماعية نُشرَت على الإنترنت عن ظاهرةٍ منتشرة بين الشباب الياباني من الذكور. الدراسة بعنوان: (عَشْر صفاتٍ في الزوجة تجعل زوجها يُصابُ بمتلازمة رفض العودة للبيت).

تقول الدراسة إن ظاهرة رفضِ الأزواج العودةَ لبيوتهم بعد انتهاء العمل في ازديادٍ مستمر وخاصة بين الشباب، فما إن ينتهي وقت العمل وهو الوقت الذي يُفترض أن يسعد الرجل بالعودة إلى بيته، حتى نرى الكثير من الأزواج يُصاب باكتئابٍ من مجرَّد التفكير في ضرورة العودة للبيت، فنجدُه يتجه بعد العمل إلى البارات أو مطاعم الوجبات السريعة (التي تسمح لنزلائها بالمكوث بها أوقاتًا طويلة) أو دُور السينما أو مقاهي الإنترنت ليقضيَ الوقت ثم يعود بعد أن يتأكَّد من أن كل أهل البيت قد ناموا، بل وفي أسوأ الحالات هناك من يَبيتُ في فنادق الكبسولات ولا يعود لبيته لأيامٍ طويلة. وتشرح الدراسة عَشْرَ صفاتٍ للزوجة يُعتقد أنها هي سبب هذه الظاهرة.

الصفة الأولى: هي الزوجة المُتحكِّمة التي تكون الآمرَ الناهيَ في البيت. وتكون في الغالب امرأةً مُحبة للكمال في كل شيء، وتتحكَّم في كل

سلوكيات زوجها، وتعطيه تعليمات وإرشادات لكي يكون أفضل في كل نواحي حياته، من مأكله، لملبسه، لكيفية صَرفِ مصروف جيبه (أجل في العادة الزوجة اليابانية هي المتحكِّمة في ميزانية الأسرة، وهي التي تعطي زوجها مصروفه الشهري أو اليومي)، في مثل هذا البيت لا يجدُ الرجل حريةً في بيته، وعودتُه له تعني المعاناة.

الصفة الثانية: هي الزوجة التي تَكْره الهزيمة، هي التي لا ترى في زوجها شريكًا يتعاون معها، بل تراه منافسًا لها في كل شيءٍ ولا يجب أن تُهزم أمامه؛ فكل حالةٍ وكل موقفٍ تُحوِّله إلى صراعٍ يجب أن تكون المنتصرة فيه، فعندما تختلف الآراء بينها وبين زوجها لا تستطيع أن تقول: «آها، هذا أيضًا رأيٌ جدير بالاعتبار» وتقبل به، بل تَفرِض رأيها على زوجها أيًّا كان وبكل وسيلة. الزوج الذي يخسَر دائمًا في معاركِ اختلافِ الرأي تلك يبدأ تدريجيًّا في تفادي زوجتِه وتفادي الحديثِ معها مخافةَ الخَسارة مثل كل مرة.

الصفة الثالثة: هي الزوجة التي لديها عُقدةُ اضطهادٍ قوية. على العكس من الصفة السابقة، الزوجة التي تُحوِّل نفسها إلى ضحيةٍ في كل حواراتها مع زوجها، أيضًا يجبُ الحذَر منها؛ ففي كل لقاء بزوجها تنهالُ عليه بالشكوى من أنه يضطهدها؛ فهو يفرض عليها كل أعمال المنزل ولا يساعدها، بل ولا يستمع لها أو يهتم بها، ثم تجعل نفسها بطلةً في دراما تراجيديةٍ مأساوية، وتكون الطامَّة الكبرى قولها: «عندك حق؛ فأنا لست متعلمة، ولا أملكُ خبرةَ عمل ولا أية خبرة، وأيضا غبية» عندها يفكِّر الزوج في نفسه يحدثها «وماذا عني أنا الذي اخترتُ مثل هذه المرأة زوجة؟» ويهربُ من بيته هروبَه من الجحيم.

الصفة الرابعة: هي الزوجة التي لا تستطيع التواصُل، فالحوار والتواصُل مع الشريك أحد أساسيات العلاقة الزوجية الصحية، فالزوجة التي لا تستطيع تبادُل الحوار مع

زوجها، وتكتفي بأقل الكلمات، تجعله لا يعرف فيما تفكِّر أو ما هي آراؤها. المرأة التي يتحوَّل وجهُها إلى قناعٍ خشبي من أقنعة مسرح النو، لا تجعل بيتها عُشًّا زوجيًّا سعيدًا يستريح فيه الزوج ويَسعَد بالعودة له.

الصفة الخامسة: هي الزوجة التي لا تُرتِّب البيت، فالزوجة التي لا تُنظِّف المنزل ولا تتخلَّص من القمامة ولا تغسل الأواني، وتجعل بيتَها عبارة عن «مزبلة»، بالتأكيد لا يَسعَد رجلٌ بالعودة إلى بيتٍ عبارة عن صندوق قمامة.

الصفة السادسة: الزوجة التي علاقتُها بأطفالها أقوى من علاقتها بزوجها، عندما تكون علاقة الزوجة بأطفالها قويةً إلى درجة عدم قُدرة الزوج على الاندماج معهم هي علاقةٌ غير صحيحة، لأن وقتها يُحِسس الزوج (بسبب بعده عنهم في أثناء النهار) أنه منبوذ، وأن لا يستطيع مشاركتهم أوقاتهم، خاصةً عندما تنتقصُ الزوجة من زوجها أمام أطفالهما، وتكيل له السباب، فعندها تنهار العلاقة بين الأب وأطفاله ربما إلى الأبد، ويبتعدُ تدريجيًّا عنهم.

صفة السابعة: الزوجة التي تُمارِس العنف ضد زوجها، تقول الدراسة إن العنف الأُسري ليس فقط من الرجل تجاه المرأة. فيجبُ الحذَر من أنه تُوجَد سيداتٌ يمارسن العنف ضد أزواجهن بركلهم، أو إلقاء أشياء تجاهَهُم، أو على الأقل العنف اللفظي، أو تجاهُل وجود الزوج وعدم توجيه أي كلمةٍ له دونًا عن الجميع، أو فصل ملابسه وأدوات مائدته عن الباقي وعدم غسلها؛ كل ذلك من وسائل العنف الأُسري التي تمارسُها الزوجة ضد زوجها.

الصفة الثامنة: هي الزوجة التي تهتم كثيرًا بعيون الناس، إنها الزوجة التي تُقارِن كل شيءٍ وكل حالٍ بالآخرين، وتهتم أكثر من اللازم بما يقوله الناس عنها، وتُغرِق زوجها في دوامة المقارنة مع فلانٍ الذي يستلم مُرتبًا أكبر منه، أو عَلَّان ذي الدرجة العلمية الرفيعة إلى آخره، مما يحدُو بزوجها إلى تجنُّب الكلام

أو التواصُل معها من أجل الهرب من شعور الدونية التي تصُبُّه عليه.

صفة التاسعة: هي الزوجة البارزة بروزًا يجعل زوجها يُحِس أنه لا ضرورة له. وتكون في الغالب زوجةً عاملة مستقلة اقتصاديًّا ونفسيًّا ومعتمدة على نفسها بالكامل، ولا تُظهر أي حاجة إلى زوجها. هذه الزوجة في الأغلب تُقرِّر كل شيء بدون أي استشارة لزوجها، بل وتقوم بالتنفيذ حتى دون إخطاره. هذه الزوجة تجعل زوجَها يُحِس أن وجوده وعدم وجوده في البيت سيَّان، ويتجه إلى الهرب منه.

الصفة العاشرة: هي الزوجة المعتمدة على زوجها بشكلٍ أكثر من اللازم، وهي على العكس تمامًا من رقم تسعة؛ فهي لا تستطيع عمل أي شيءٍ ولا أخذ أي قرارٍ مهما كان تافهًا دون الرجوع إلى زوجها. في البداية يَسعَد الزوج بذلك ويمارس دور الرجل القادر على إدارة البيت وتقرير مصيره، ولكنه تدريجيًّا يُصاب بالملَل والكلَل من ذلك، ويصير الأمر ضغطًا عصبيًّا عليه، ويقول في نفسه لماذا لا تستطيع القيامَ بمثل ذلك الأمر التافه، أو أخذَ هذا القرارِ الذي لا تأثير له مطلقًا؟ ويفرُّ في النهاية تاركًا الأمر كلَّه.

[اليابان وجهة نظر شخصية]

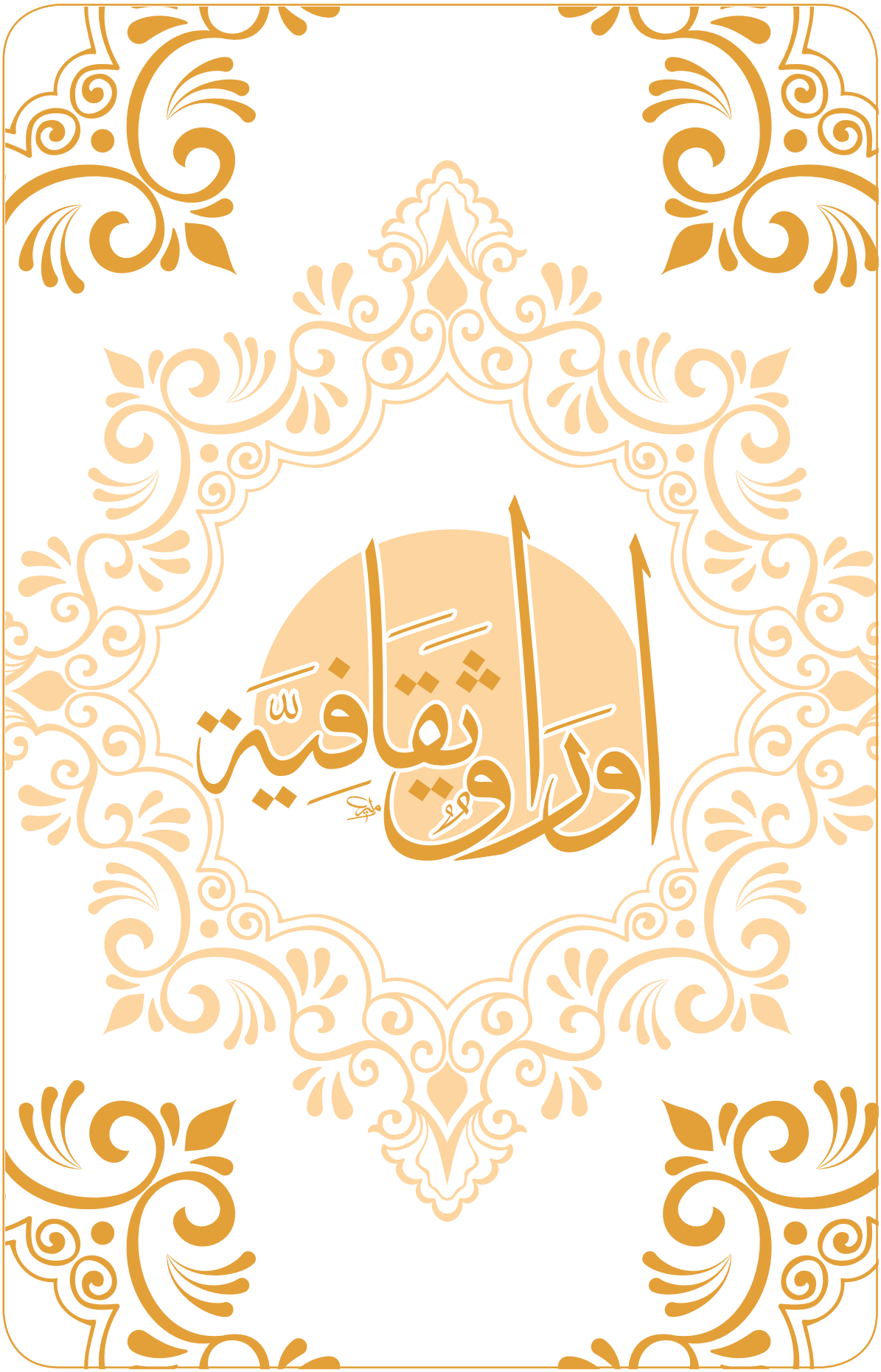
أوراد ثقافية

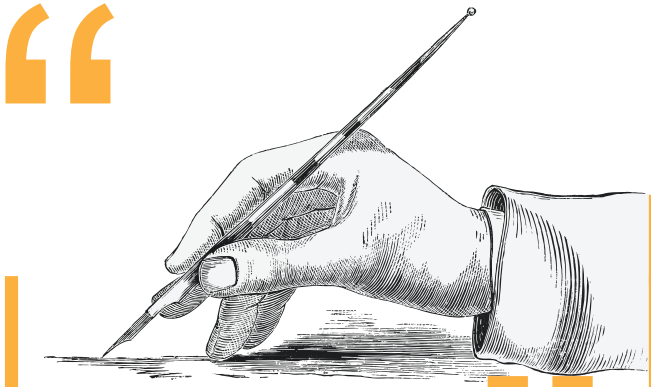

مصادر المعرفة
بين الغيب والشهادة

الشيخ عبد الهادي الفضلي

مصادر المعرفة بين الغيب والشهادة

إن الفكر الديني بعمومه يدعو إلى توسيع دائرة مصادره المعرفية بما يشمل المعارف التي تلقاها المتدينون عن طريق الوحي وذلك أن التشريع الإلهي يقوم في أساسه على تلقي التعاليم الدينية الموحاة الأنبياء عليهم السلام.

تستعمل كلمة (المعرفة) بكثرة فنقول: (هذه معرفة علمية) و (عرفت أن زيداً أخوك) ونجمعها على (معارف) فنقول: (هذه مجموعة من المعارف غير المنظمة) و (تلك من المعارف الحقة) فالمعرفة هي الفكر الموجود في ذهن الانسان فعندما يقال: (عرفت هذا الإنسان) إنما يشير القائل إلى صورة ذهنية يحتفظ بها لذلك الإنسان الذي يتحدث عنه.

وعندما يقول آخر: (معرفتي بهذا الموضوع جيدة) فهو يتحدث عن مجموعة من الأفكار والصور الذهنية التي يحتفظ بها عن ذلكم الموضوع، وقريب من ذلك التعبير التالي: (اعرف محمداً أخا علي).

إن ما تعنيه كلمة (المعرفة) في مثل هذه الاستعمالات هو: انطباع الصور والأفكار في الذهن، وهذه الصور المنطبعة نسميها (فكرة أو أفكار) و(معرفة أو معارف).

ورد في المعجم الوسيط: (عرف الشيء معرفة: ادركه بحاسة من

حواسه)[1].

وقد بحثت المعرفة في أقدم بحوثها ودراستها في الفلسفة. ومن أقدم الفلسفات التي بحثتها الفلسفة الأغريقية أو اليونانية.

وقد بحثت كموضوع من موضوعاتها، ومنها انتقلت إلى الفلسفات الأخرى وبخاصة الفلسفة الإسلامية؛ ذلك أنّ الفلسفة الإسلامية اليوم تبحث في موضوعين رئيسين هما: نظرية المعرفة، ونظرية الوجود.[2]

إن هذه الفلسفات جميعاً (بما فيها الفلسفة الإسلامية) تحدد تلكم المصادر والمسائل التي نحصل من خلالها على المعارف والأفكار الموجودة في أذهاننا في المصدرين التاليين: الحس والعقل.

الحس المصدر الأول للمعارف:

من خلال الحواس الخمس يتلقى الإنسان أغلب معارفه، فما يراه بعينيه من صور يختزنه عقله، وهكذا حاسة السمع التي يتعلّم بها عن طريق الألفاظ اللغوية، ومروراً بالحواس الأخرى التي تساهم بصورة مستمرة في تزويد الإنسان بالمزيد من المعارف، فيبدأ من اليوم الأول باكتساب - من أسرته - معارفها كاللغة والثقافة وغيرها متواصلةً معه إلى الأبد، فهذه المعارف لا يدرسها الإنسان، وإنما يتلقها بواسطة الحس.

العقل المصدر الثاني للمعارف:

لم تتفق المدارس الفلسفية على تعريف واحد للعقل وماهيته ووظائفه، لكننا كبشر ندرك أنا نملك عقلاً متحركاً بسبب عملية التفكير التي نشعر بها وجدانياً.

فعملية التفكير تنطلق من جهاز يسمى العقل، سواء آمنا بمادية العقل المتكوّن من مخ ومخيخ ونخاع شوكي وغيره، أم اعطيناه الصفة المعنوية من دون تحديد مكانه وموقعه في الجسم، هل هو الدماغ

(١) المعجم الوسيط، مادة (عرف).
(٢) انظرفلسفتنا السيّد محمّد باقر الصدر، والنهج الجديد في تعليم الفلسفة الشيخ محمد تقي المصباح اليزدي.

أو القلب؟ أو في مكان آخر ثالث.

فالاتفاق حصل على أن (العقل) هو موطن التفكير للانسان، وهذه المعلومات نحصل عليها عن طريق الحواس ويتم تنظيمها فيه-العقل- وتحويلها الى معلومات جديدة.

مثلاً: مشاهدة شخصين متشابهين تشابهاً تاماً، فالنظر إليهما ووصول صورتهما إلى العقل هو ادراك ومعرفة يتوصل إليها الإنسان من خلال حاسة النظر، ولكن الحكم- أي الاعتقاد والتصديق- بأنهما توأمان، هو العملية العقلية التي تضيف للمعلومة السابقة معلومة ومعرفة جديدة.

هذه العملية يطلق عليها في المنطق بـ(القضايا النظرية) فما يقوم به العقل الإنساني هو التحرّك في هذه المحسوسات- مشاهدة التوأمين- عن طريق الحس (النظر) ليستخرج منها معلومات جديدة- الاعتقاد بأنهما توأمان- تسمى معلومة عقلية، وذلك نسبة إلى مصدرها وهو العقل.

بين العلمي والديني في المنهج المعرفي:

يضيف الفكر الديني مصدرين للمعرفة هما (الوحي والإلهام)[1] بالإضافة إلى المصدرين الأخرين اللذين تميل إليهما الفلسفات الأخرى وهما (الحس والعقل).

فلو رجعنا إلى أهم مصدر من مصادر المعرفة الدينية، وأكثرها وثاقة في الثقافة الإسلامية وهو القرآن الكريم، نراه يشير إلى الحس والعقل كمصدرين أساسيين للمعرفة الإنسانية، يقول تعالى: ﴿أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ۞ وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ۞ وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ۞ وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ﴾[2].

ففي هذه الآيات الكريمات دعوة صريحة إلى أن يتبصر الانسان فيما حوله من المخلوقات، وذلك فيما يشاهده بحواسه ليخرج من خلال هذه المشاهدات إلى ما يعزز لديه استشعار القدرة الالهية العظيمة التي

(١) للاستزادة يراجع (أصول البحث) للدكتور الفضلي رحمه الله.

(٢) سورة الغاشية: الآيات ١٧-٢٠.

خلقت جميع هذه المخلوقات بهذه الدقة المتناهية.

هذا التفكر الذي دعا إليه القرآن الكريم وذلك ليثبت ان حركات الدعوة النبوية ماهي إلّا امتثال وتبليغ للوحي ليكونوا واسطة بينه تعالى وبين عباده من بني الانسان، فيكون الوحي هو الوسيلة لتلقي تلكم الرسالة الالهية المقدسة في اكتشاف الحق من خلال النظر والمعرفة والتأمل في الكون، يقول تعالى:﴿ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ ﴾[1] فطبيعة النبوة منبعها البعث الإلهي دون أن تكون مبادرات شخصية.

وهناك آيات تبين أن النبي في حركته الدعوية لم ينطلق لولا التفويض والارسال من قبل الله تعالى، كـ﴿ أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولا ﴾[2] أو ﴿ إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ ﴾[3] إلى آخر الآيات العزيزات.

وإلى جانب الوحي يضيف القرآن الكريم مصدراً رابعاً وهو الإلهام وهو الخطاب الإلهي المباشر لمخلوقاته دونما علاقة مباشرة بالتشريع الإلهي وذلك كما في قوله تعالى: ﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴾[4]، وفي آية ثانية يقول تعالى: ﴿ وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ﴾[5]، والوحي هنا بمعنى الإلهام بالقيام بتلك الوظائف الواردة في الآيتين.

فعن طريق الوحي حصلنا على الكثير من المعارف الغيبية التي لا يمكن للحس أو العقل أن يصلا إليها، كمعرفتنا عن المخلوقات الغيبية كالملائكة والجن، أو العالم الذي قبل عالمنا هذا أو بعده وهو(عالم الغيب البحت) من مبدأ الخلق ونشأة

(١) سورة القصص: الآية٥١.
(٢) سورة البقرة: الآية١٥١.
(٣) سورة النساء: الآية ١٦٣.
(٤) سورة القصص: الآية ٧.
(٥) سورة النحل: الآية ٦٨.

الإنسان ومنتهاه على هذا البسيطة، وفيما يتعلق بالمصير الإنساني، من الجنة والنار وغيرها، بل كل التفصيلات الغيبية، التي لو لم يرد ذكرها في المصادر الدينية لم يكن بمقدورنا التوصل الى معرفتها،والتي هي في الغالب مسائل مرتبطة بالشأن العقائدي.

إن الفكر الديني-بعمومه- يدعو إلى توسيع دائرة مصادر المعرفة بما يشمل المعارف التي تلقاها المتدينون عن طريق الوحي، وذلك أن التشريع الإلهي يقوم في أساسه على تلقي التعاليم الدينية الموحاة إلى الأنبياء عليهم السلام بينما يرفض الفكر الفلسفي الغربي تلكم الغيبيات لعدم تعقله تعدد تلكم المصادر بما يشمل الوحي الإلهي، فيرفضون كلّ ما يتعلق بهذه المعرفة الغيبية، ولذلك يرفضون الاعتقاد بالذات الإلهية ومعها كثيراً من الاعتقادات الدينية الأخرى ذات العلاقة.

[الإسلام والمفاهيم الضيقة]

جابر بن حيان

زكي نجيب محمود

هـا هـو ذا عـلَـمٌ مـن أعـلام الفكر الإسلامي، كنَّا نتوقع أن نجد عنه الرواية المستفيضة والخبر اليقين، لكننا لا نصادف في ذلك إلا أقـوالًا متعارضة، قد بلغ فيها اختلافُ الـرأي حـدًّا ينكر معه المنكرون أن رجلًا كهذا قد شهده التاريخ، وهي قصة تتكرر مع كثيرين من نوابغ الفكر، كأنما الإنسانية تستكثر على نفسها أن ينبغ من أبنائها أحدٌ يجاوز بنبوغه هذا حدًّا معلومًا، فإن جاوزه قال عنه الخلَف إنه أسطورة لفَّقها الخيال؛ فهوميروس قد وجد -وما يزال يجد- مَن أنكر وجوده؛ وشيكسبير قد وجد - وما يزال يجد- مَن أنكر وجوده، وامرؤ القيس قد وجد مَن تشكَّك في وجوده، وها هو ذا صاحبنا جابر بن حيان: «تقول عنه جماعة من أهل العلم وأكابر الوراقين إنه لا أصل له ولا حقيقة». وقال بعضهم إنه حتى إن كانت له حقيقة تاريخية فهو لم يُصنِّف هذه الكتب الكثيرة التي قيل إنه مصنِّفها، واستثنوا كتابًا واحـدًا من كتُبه نسبوه إليه، هو «كتاب الرحمة»، وأما بقية مصنفاته فقد صنفها غيره ثم نحلوه إياها- هذه رواية يرويها صاحب (الفهرست) ثم يُعقِّب عليها قائلًا: «إن رجـلًا فاضلًا يجلس ويتعب، فيصنِّف

كتابًا يحتوي على ألفَي ورقة، يُتعب قريحتَه وفكرَه بإخراجه، ويُتعب يدَه وجسمه بنَسْخه، ثم ينحله لغيره - إما موجودًا أو معدومًا- ضرْب من الجهل؛ وأن ذلك لا يستمر على أحد، ولا يدخل تحته من تحلَّى ساعة واحدة بالعلم، وأي فائدة في هذا، وأي عائدة؟» ولا يتردد ابن النديم في رفض هذه الدعوى، معترفًا للرجل بأقل ما ينبغي الاعتراف به، وهو وجوده، قائلًا إن أمره أظهر وأشهر من أن يخفَى، وتصنيفاته أعظم وأكثر من أن يُنكَر وجود صاحبها؛ وكذلك أيضًا فعل (كار دي فو) عند ذِكره الرواية نفسها التي تزعم عن جابر أنه أسطوري لا حقيقة له في التاريخ؛ إذ قال: «إنها رواية نرفضها بغير تردد».

ولا نكاد نقرر للرجل وجوده حتى نصطدم باختلاف آخر يسير حول اسمه، فهو آناً: «أبو عبد الله جابر بن حيان»، وهو آناً آخر: «أبو موسى جابر بن حيان». وقد يكون مصدر الاختلاف في أن له ولدَين بهذَين الاسمَين ويقال إنه سُمي: (جابرًا)؛ لأنه هو الذي (جبر) العلم، أي أعاد تنظيمه.

وكذلك كان مسقط رأسه وتاريخ مولده موضع اختلاف؛ «فهنالك ما يسوغ لنا الظن بأنه فارسي وُلد في طوس من بلاد خراسان». وهي مسقط رأس الفردوسي الشاعر الفارسي، لكن رواية أخرى تقول: إنه من طرسوس، ورواية ثالثة تجعله صابئًا من حران ورواية رابعة يرويها (ليو الأفريقي) الذي أرَّخ سنة ١٥٢٦ ميلادية لرجال الكيمياء في أفريقيا فيقول: إن كبيرهم هو: (جابر) الذي هو يوناني اعتنق الإسلام وكانت حياته بعد زمن نبي الإسلام بقرن من الزمان؛ وكذلك يَرِد اسم (جابر) مرة واحدة عند (ألبرت الكبير) منسوبًا إلى مدينة إشبيلية، لكن جابرًا المقصود هنا هو بغير شك جابر بن الأفلح الذي عاش في إشبيلية خلال القرن الحادي عشر الميلادي وألَّف في علم الفلك.

أما صفة «الكوفي» الذي يُنْعت بها في روايات كثيرة فليست تدل

على مكان مولده، ولكنها ترجع إلى مقامه فيها زمنًا — وعلى كل حال فليس الأمر مقطوعًا فيه برأي — فيقول ابن النديم: «وزعموا (أي الشيعة) أنه كان من أهل الكوفة ... وحدثني بعض الثقات ممن تعاطى الصنعة (أي الكيمياء) أنه كان ينزل في شارع باب الشام في دربٍ يُعرَف بدرب الذهب (وذلك في الكوفة)، وقال لي هذا الرجل إن جابرًا كان أكثر مقامه بالكوفة ... لصحة هوائها». وتمضي الرواية فتقول إنه قد حدث بعد وفاة جابر أن هُدمت الدور في الحي الذي كان يسكنه، فكُشفت الأنقاض عن الموضع الذي كان فيه منزله، ووجد معمله، كما وُجد هاوُن من الذهب يَزِن مائتي رطل، وتقول الرواية إن هذا حدث في أيام عز الدولة ابن معز الدولة، والظاهر أن ما قد دعَا جابرًا إلى الإقامة في الكوفة زمنًا، هو فراره من خطرٍ كان مُحدقًا به في عهد هارون الرشيد، والقصة -كما يرويها الجلدكي- هي أنه: «قد أفضى بأسرار صناعته إلى هارون الرشيد وإلى يحيى البرمكي وابنَيه: الفضل وجعفر، حتى لقد كان ذلك سببًا في غناهم وثروتهم؛ فلما ساورت الرشيد الشكوكُ في البرامكة، وعرف أن غرضهم هو نقل الخلافة إلى العلويين، مستعينين على ذلك بمالهم وجاههم، قتلهم عن آخرهم، فاضطر جابر بن حيان أن يهرب إلى الكوفة خوفًا على حياته، حيث ظل مختبئًا حتى أيام المأمون، فظهر بعد احتجابه».

وها هنا تنهض أمامنا نقطةٌ أخرى من نقط الاختلاف عن حياة جابر، وهي تاريخ مولده؛ فعلاقته بالبرامكة -في عهد هارون الرشيد- يكاد يكون عليها إجماع، فإذا ذكرنا أن البرامكة قد لبثوا يتمتعون بثقة هارون الرشيد سبعة عشر عامًا، منذ ولايته سنة ٧٨٦ حتى سنة ٨٠٣م - قبل موته بستة أعوام - تبيَّن لنا خطأ التاريخ الذي ذكره حاجي خليفة في (كشف الظنون) من أنه قد تُوفي سنة ١٦٠هـ (أي ما بين سنتَي ٧٧٦ و٧٧٧م)، فلو فرضنا أن ولاية هارون

الرشيد قد أدركَت جابرًا في صدر رجولته، كانت ولادته حوالي ٧٥٠م أو قبل ذلك؛ وإذن فيمكن القول على وجه يقرب من اليقين أنه عاش خلال النصف الثاني من القرن الثامن الميلادي والجزء الأول من القرن التاسع؛ وعن ذلك يقول هولميارد الذي عُنيَ بدراسته: أن حياته امتدت خلال الشطر الأكبر من القرن الثامن.

وكما اختلف الناس في حقيقته التاريخية، واختلفوا في مولده مكانًا وزمانًا، واختلفوا في اسمه، فكذلك اختلفوا في أمره وإلى أي فئة أو مذهب ينتمي: «فقالت الشيعة إنه من كبارهم ... وزعم قوم من الفلاسفة أنه كان منهم، وله في المنطق والفلسفة مصنفات، وزعم أهل صناعة الذهب والفضة أن الرياسة انتهت إليه في عصره، وأن أمره كان مكتومًا». وحقيقة الأمر ... أنه كان الثلاثة معًا: فهو من الشيعة سياسةً، وهو من الفلاسفة جدلًا، وهو من الكيمويِّين علمًا، ثم هو فوق هذا وهذا وذلك صوفي، حتى لقد لصقت صفةُ الصوفية باسمه كأنما هي جزء منه، فيُدعَى حيثما ورَد ذِكْره جابر بن حيان الصوفي.

وإن جابرًا ليتصل ذكرُه برجلين هما: خالد بن يزيد بن معاوية (تُوفي ٧٠٤م)، وجعفر الصادق (٧٠٠-٧٦٥م تقريبًا).

أمّا أولهما: «فهو أول مَن تكلَّم في علم الكيمياء ووضع فيها الكتب ... ونظر في كتب الفلاسفة من أهل الإسلام» وقد أخذ جابر عن خالد بن يزيد بن معاوية بن أبي سفيان العلمَ، وإن تكن شهرة جابر فيما بعد قد ألقت ظلًّا كثيفًا على أستاذه.

ويروي ابن النديم عن خالد بن يزيد بن معاوية بن أبي سفيان أنه لم يكن هو الذي ترك الخلافة، ولكن الخلافة هي التي صُرِفت عنه واختُزلت دونه؛ فقد جاء في الفهرست عن خالد أنه: «أول مَن ترجم له كتب الطب والنجوم وكتب الكيمياء، وكان جوادًا. يقال إنه قيل له: لقد فعلتَ أكثر شغلك في طلب

الصنعة (الكيمياء)، فقال خالد: ما أطلب بذاك إلا أن أُغنيَ أصحابي وإخواني، إني طمعت في الخلافة فاختُزلَت دوني فلم أجد منها عوضا إلّا أن أبلغ آخر هذه الصناعة (الكيمياء)، فلا أُحوِج أحدًا عرفني يومًا أو عرفتُه إلى أن يقف بباب سلطان رغبة أو رهبة، ويقال -والله أعلم- إنه صح له عمل الصناعة، وله في ذلك عدة كتب ورسائل ...».

وأمّا (جعفر) الذي كثيرًا ما يَرِد اسمه في كتابات جابر مشارًا إليه بقوله: (سيدي)، فهنالك من يزعم أنه جعفر بن يحيى البرمكي، لكن الشيعة تقول -وهو القول الراجح الصدق- إنه إنما عُنيَ به جعفر الصادق، وتقول إنه مرجح الصدق؛ لأن جابرًا شيعي، فلا غرابة أن يعترف بالسيادة لإمام شيعي. هذا إلى وفرة المصادر التي لا تتردد في أن جعفرًا المشار إليه في حياة جابر ونشأته، هو جعفر الصادق، فيذكر حاجي خليفة جابرًا مصحوبًا بعبارة: «تلميذ جعفر الصادق»، ويقول كارا دي فو، وهو يتحدث عن جابر: «ومعلِّماه هما: خالد بن يزيد بن معاوية ... وجعفر الصادق»، وفي مقدمة كتاب (الحاصل) لجابر يقول هو نفسه: «... وقد سميته كتاب الحاصل؛ وذلك أن سيدي جعفر بن محمد (صلوات الله عليه) قال لي: فما الحاصل الآن بعد هذه الكتب (الكتب التي ألَّفها جابر) وما المنفعة منها؟ ... فعملت كتابي هذا وسماه سيدي بكتاب الحاصل ...»، وواضح أن هذا التوقيرَ كلَّه لا يكون موجَّهًا إلى برمكي؛ إذ كان جابر ذا مكانة ممتازة في بلاط الخليفة هارون الرشيد، وخالط أسرة البرامكة مخالطةَ الندِّ للأنداد، وإنما يُوجَّه مثل هذا التوقير من شيعيٍّ إلى إمامه؛ على أن صلة جابر بجعفر لا بد من أن تكون قصيرة الأمد؛ لأن وفاة جعفر كانت سنة (٧٦٥م)، وهو بعد مولد جابر بما لا يزيد عن عشرين عامًا.

[كتاب جابر بن حيان]

مقدمة كتاب الكافي

الدكتور حسين علي محفوظ

كان هذا الكتاب معروفاً «بالكليني، ويسمى أيضا الكافي، قال الكليني: (وقلت، إنك تحب أن يكون عندك كتاب كاف، يجمع من جميع فنون علم الدين، ما يكتفي به المتعلم، ويرجع إليه المسترشد، ويأخذ منه من يريد علم الدين، والعمل به بالآثار الصحيحة. عن الصادقين عليهم السلام وقد يسر الله له تأليف هذا الكتاب الكبير في عشرين سنة) وقد سأله بعض الشيعة من البلدان النائية تأليف كتاب الكافي لكونه بحضرة من يفاوضه ويذاكره ممن يثق بعلمه، ويعتقد بعض العلماء أنه عرض على القائم (صلوات الله عليه) فاستحسنه وقال: كاف لشيعتنا.

روى الكليني عمّن لا يتناهى كثرة من علماء أهل البيت عليهم السلام ورجالهم ومحدثيهم فكتابه خلاصة آثار الصادقين عليهم السلام وعيبة سننهم القائمة.

وقد كان شيوخ أهل عصره يقرؤونه عليه، ويروونه عنه، سماعا « وإجازة، كما قرؤوه على تلميذه أبي الحسين أحمد بن أحمد الكوفي الكاتب ورواه جماعة من أفاضل رجالات الشيعة عن طائفة من كلمة حملته، ومن رواته الأقدمين: النجاشي والصدوق وابن قولويه، والمرتضى والمفيد والطوسي، والتلعكبري والزراري وابن أبي رافع وغيرهم.

وقد ظل حجة المتفقهين عصوراً طويلة، ولا يزال موصول الإسناد والرواية، مع تغير الزمان، وتبدل الدهور.

وقد اتفق أهل الإمامة وجمهور الشيعة، على تفضيل هذا الكتاب والأخذ به، والثقة بخبره، والاكتفاء بأحكامه، وهم مجمعون على الإقرار بارتفاع درجته وعلو قدره - على أنه- القطب الذي عليه مدار روايات الثقات المعروفين بالضبط والاتقان إلى اليوم وهو عندهم «أجمل وأفضل من سائر أصول الأحاديث.

قال الشيخ المفيد: «.. الكافي، وهو من أجل كتب الشيعة، وأكثرها فائدة.

وقال الشهيد محمد بن مكي في إجازته لابن الخازن «.. كتاب الكافي في الحديث الذي لم يعمل الإمامية مثله.

وقال المحقّق علي بن عبد العالي الكركي في إجازته للقاضي صفي الدين عيسى: الكتاب الكبير في الحديث، المسمى بالكافي، الذي لم يعمل مثله... وقد جمع هذا الكتاب من الأحاديث الشرعية، والأسرار الدينية، مالا يوجد في غيره. وقال أيضاً في إجازته لأحمد بن أبي جامع العاملي: الكافي في الحديث الذي لم يعمل الأصحاب مثله.

وقال الفيض: الكافي... أشرفها وأوثقها وأتمها وأجمعها، لاشتماله على الأصول من بينها، وخلوه من الفضول وشينها.

وقال الشيخ علي بن محمد بن حسن بن الشهيد الثاني: الكتاب الكافي والمنهل العذب الصافي،

ولعمري لم ينسج ناسج على منواله، ومنه يعلم قد منزلته وجلالة حاله.

وقال المجلسي: كتاب الكافي.. أضبط الأصول وأجمعها، وأحسن مؤلّفات الفرقة الناجية، وأعظمها.

وقال المولى محمد أمين الأسترآبادي في الفوائد المدنية: وقد سمعنا عن مشائخنا وعلمائنا أنه لم يصنف في الإسلام كتاب يوازيه أو يدانيه.

وقال بعض الأفاضل: اعلم أن الكتاب الجامع للأحاديث، في جميع فنون العقائد، والأخلاق، والآداب، والفقه - من أوله إلى آخره - مما لم يوجد في كتب أحاديث العامة، وأنى لهم بمثل الكافي في جميع فنون الأحاديث، وقاطبة أقسام العلوم الإلهية، الخارجة من بيت العصمة ودار الرحمة.

وهو يحتوي على ما لا يحتوي غيره، مما ذكرناه، من العلوم حتى أن فيه ما يزيد على ما في الصحاح الستة للعامة متوناً وأسانيد فإن عدة أحاديث الكافي ١٦١٩٩ حديثاً، وجملة ما في كتاب البخاري الصحيح ٧٢٧٥ حديثاً، بالأحاديث المكررة، وقد قيل: إنها بإسقاط المكررة ٤٠٠٠ حديث. قال ابن تيمية: إن أحاديث البخاري ومسلم سبعة آلاف حديث وكسر.

مزيته:

خصائص الكافي التي لا تزال تحث على الاهتمام به كثيرة، منها: أن مؤلّفه كان حياً في زمن سفراء المهدي عليه السلام، قال السيد ابن طاووس: فتصانيف هذا الشيخ محمد بن يعقوب، ورواياته في زمن الوكلاء المذكورين، يجد طريقاً إلى تحقيق منقولاته. وهو ملتزم في الكافي أن يذكر في كل حديث إلّا نادراً جميع سلسلة السند بينه وبين المعصوم وقد يحذف صدر السند ولعله لنقله عن الأصل المروي عنه، من غير واسطة، أو لحوالته على ما ذكره قريباً، وهذا في حكم المذكور.

ومما يعلم في هذا المقام نقلاً

عن بعض محقّقينا الأعلام، أن من طريقة الكليني﵀ وضع الأحاديث المخرجة، الموضوعة على الأبواب، على الترتيب بحسب الصحة والوضوح. ولذلك أحاديث أواخر الأبواب في الأغلب - لا تخل من إجمال وخفاء.

وقد أسلفت إيراد كونه جمع فنون العلوم الإلهية، واحتوى على الأصول والفروع، وأنه يزيد على ما في الصحاح الستة. عد عن التأني في تأليفه الذي بلغ عشرين سنة. قال الوحيد البهبهاني: ألا ترى أن الكليني﵀ مع بذل جهده في مدة عشرين سنة، ومسافرته إلى البلدان والأقطار، وحرصه في جمع آثار الأئمة، وقرب عصره إلى الأصول الأربعمائة والكتب المعول عليها، وكثرة ملاقاته، ومصاحبته مع شيوخ الإجازات، والماهرين في معرفة الأحاديث ونهاية شهرته في ترويج المذهب، وتأسيسه.

وقال السيد حسن الصدر: ومنها اشتماله على الثلاثيات.. ومنها أنه غالباً، لا يورد الأخبار المعارضة. بل يقتصر على ما يدل على الباب الذي عنونه، وربما دل ذلك على ترجيحه لما ذكر، على ما لم ذكر.

[مقدمته على الكافي]

النبأ اليقين في مدح أمير المؤمنين (عليه السلام)

السيد أبو بكر بن شهاب العلوي الحسيني الحضرمي[1]

علي أخي المختار ناصر دينه ... وملّته يعسوبها وإمامها
وأعلم أهل الدين بعد ابن عمه ... بأحكامه من حلّها وحرامها
وأوسعهم حلماً وأعظمهم تقى ... وأزهدهم في جاهها وحطامها
وأولهم وهو الصبي اجابة ... إلى دعوة الإسلام حال قيامها
فكل امرئ من سابقي أمة الهدى ... وان جلّ قدرا مقتد بغلامها
أبي الحسن الكرار في كل مأقطٍ ... مبدد شوس الشرك نقّاف هامها
فتى سَمَتْهُ سَمَتُ النبي وما انتقى ... مواخاته إلا لعظم مقامها
فدت نفسه نفس الرسول بليلة ... سرى المصطفى مستخفياً في ظلامها
له فتكات يوم بدر بها انثنت ... صناديد حرب أدبرت في انهزامها

(١) ولد سنة ١٢٦٢هـ، بقرية حصن آل فلوقة أحد مصائف تريم من بلاد حضر موت، وتوفي ليلة الجمعة ١٠ جمادى الأول سنة ١٣٤١ هـ (بحيدر اباد دكن) من بلاد الهند. كان عالماً جليلاً حاوياً لفنون العلوم مؤلفاً في كثير منها، قوي الحجة ساطع البرهان، أديباً شاعراً مخلصاً في ولائه لأهل البيت عليهم السلام.

سقى عتبة كاس الحتوف وجرّع ... الوليد ابنه بالسيف مرّ زؤامها
وفي أحد أبلى تجاه ابن عمه ... وفلّ صفوف الكفر بعد التئامها
بعزم سماويٍ ونفسٍ تعودت ... مساورة الأبطال قبل احتلامها
أذاق الردى فيها ابن عثمان طلحة ... أمير لواء الشرك غرب حسامها
وعمرو بن ود يوم أقحم طرفه ... مدى هوّة لم يخش عقبى ارتطامها
دنا ثم نادى القوم هل من مبارزٍ ... ومن لسبنتي عامر وهمامها
تحدّى كماة المسلمين فلم تجب ... كأن الكماة استغرقت في منامها
فناجزه من لا يروع جنانه ... إذا اشتبّت الهيجاء لفح ضرامها
وعاجله من ذي الفقار بضربةٍ ... بها آذنت أنفاسه بانصرامها
وكم غيرها من غمة كان عضبه ... مبدّد غماها وجالي قتامها
به في حنين أيّد الله حزبه ... وقد روّعت أركانه بانهدامها
سل العرب طراً عن مواقف بأسه ... تجبك عراقاها ونازح شامها
وناشد قريشاً من أطلّ دماءَها ... وهدّ ذرى ساداتها وكرامها
أجنّت له الحقد الدفين وأظهرت ... له الودّ في اسلامها وسلامها
ولما قضى المختار نحباً تنفست ... نفوس كثيرٍ رغبة في انتقامها
أقامت ملياً ثم قامت ببغيها ... طوائف تلقى بعد شرّ آثامها
قد اجتهدت قالوا وهذا اجتهادها ... لجمع قوى الإسلام أم لانقسامها
أليس لها في قتل عمّار عبرة ... ومزدجر عن غيها واجترامها
أليس نجمٍ عزمه الله أمضيت ... إلى الناس إنذاراً بمنع اختصامها
بها قام خير المرسلين مبلغاً ... عن الله أمراً جازماً بالتزامها
هو العروة الوثقى التي كلُّ مَن بها ... تمسك لا يعروه خوف انفصامها
أما حبه حب النبي محمد ... بلى وهما والله أزكى أنامها

شمائل مطبوع عليها كأنها ... سجايا أخيه المصطفى بتمامها
حنانيك مولى المؤمنين وسيد الـ ... ـمنيبين والساقي بدار سلامها
فلي قلب متبول ونفس تدلّهت ... بحبك يا مولاي قبل فطامها
وداد تمشي في جميع جوارحي ... وخامرها حتى سرى في عظامها
هو الحب صدقاً لا الغلوّ الذي به ... يفوه ـ معاذ الله ـ بعض طغامها
ولا كاذب الحب ادعته طوائف ... تشوب قلاها بانتحال وئامها
تخال الهدى والحق فيما تأوّلت ... غروراً وترميني سفاهاً بذامها
وتنبزني بالرفض والزيغ إن صبا ... إليك فؤادي في غضون كلامها
تلوم ويأبى الله والدين والحجى ... وحرمة آبائي استماع ملامها
فاني على علمٍ وصدق بصيرةٍ ... من الأمر لم أنقل بغير زمامها
ألا ليت شعري والتمني محببٌ ... إلى النفس تبريداً لحرّ أوامها
متى تنقضي أيام سجني وغربتي ... وتنحل روحي من عقال اغتمامها
وهل لي إلى ساح الغريين زورة ... لأستاف رياً رندها وبشامها
إذا جئتها حرمت ظهر مطيتي ... وحرّرتها من رحلها وخطامها
واني على نأي الديار وبينها ... وصدع الليالي شعبنا واحتكامها
منوط بها ملحوظ عين ولائها ... قريب اليها مرتوٍ من مدامها
اليك أبا الريحانتين مديحة ... بعلياك تعلو لا بحسن انسجامها
مقصرة عن عشر معشار واجب الث ... ـناء وإن أدّت مزيد اهتمامها
ونفثة مصدور تخفق بعض ما ... تراكم في أحنائه من حمامها
وأزكى صلاة بالجلال تنزلت ... من المنظر الأعلى وأزكى سلامها
على المصطفى والمرتضى ما ترنمت ... على عذبات البان ورق حمامها

[أدب الطف]

حقّ الصدقة والهدي

الإمام علي بن الحسين زين العابدين عليه السلام

وَأَمّا حَقّ الصّدَقَةِ فَأَنْ تَعْلَمَ أَنّهَا ذُخْرُكَ عِنْدَ رَبّكَ وَوَدِيعَتُكَ الّتِي لَا تَحْتَاجُ إِلَى الْإِشْهَادِ فَإِذَا عَلِمْتَ ذَلِكَ كُنْتَ بِمَا اسْتَوْدَعْتَهُ سِرّاً أَوْثَقَ بِمَا اسْتَوْدَعْتَهُ عَلَانِيَةً وَكُنْتَ جَدِيراً أَنْ تَكُونَ أَسْرَرْتَ إِلَيْهِ أَمْراً أَعْلَنْتَهُ وَكَانَ الْأَمْرُ بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ فِيهَا سِرّاً عَلَى كُلّ حَالٍ وَلَمْ تَسْتَظْهِرْ عَلَيْهِ فِيمَا اسْتَوْدَعْتَهُ مِنْهَا بِإِشْهَادِ الْأَسْمَاعِ وَالْأَبْصَارِ عَلَيْهِ بِهَا كَأَنّهَا أَوْثَقُ فِي نَفْسِكَ لَا كَأَنّكَ لَا تَثِقُ بِهِ فِي تَأْدِيَةِ وَدِيعَتِكَ إِلَيْكَ ثُمّ لَمْ تَمْتَنّ بِهَا عَلَى أَحَدٍ لِأَنّهَا لَكَ فَإِذَا امْتَنَنْتَ بِهَا لَمْ تَأْمَنْ أَنْ تَكُونَ بِهَا مِثْلَ تَهْجِينِ حَالِكَ مِنْهَا إِلَى مَنْ مَنَنْتَ بِهَا عَلَيْهِ لِأَنّ فِي ذَلِكَ دَلِيلًا عَلَى أَنّكَ لَمْ تُرِدْ نَفْسَكَ بِهَا وَلَوْ أَرَدْتَ نَفْسَكَ بِهَا لَمْ تَمْتَنّ بِهَا عَلَى أَحَدٍ وَلا قُوّةَ إِلّا بِاللهِ.

وَأَمّا حَقّ الْهَدْيِ فَأَنْ تُخْلِصَ بِهَا الْإِرَادَةَ إِلَى رَبّكَ وَ التّعَرّضَ لِرَحْمَتِهِ وَ قَبُولِهِ وَلَا تُرِيدَ عُيُونَ النّاظِرِينَ دُونَهُ فَإِذَا كُنْتَ كَذَلِكَ لَمْ تَكُنْ مُتَكَلّفاً وَلَا مُتَصَنّعاً وَكُنْتَ إِنّمَا تَقْصِدُ إِلَى الله وَاعْلَمْ أَنّ اللّهَ يُرَادُ بِالْيَسِيرِ وَلَا يُرَادُ بِالْعَسِيرِ كَمَا أَرَادَ بِخَلْقِهِ التّيْسِيرَ وَلَمْ يُرِدْ بِهِمُ التّعْسِيرَ وَكَذَلِكَ التّذَلّلُ أَوْلَى بِكَ مِنَ التّدَهْقُنِ؛ لِأَنّ الْكُلْفَةَ وَالْمَئُونَةَ فِي الْمُتَدَهْقِنِينَ، فَأَمّا التّذَلّلُ وَالتّمَسْكُنُ فَلَا كُلْفَةَ فِيهِمَا وَلَا مَؤونَةَ عَلَيْهِمَا لِأَنّهُمَا الْخِلْقَةُ وَهُمَا مَوْجُودَانِ فِي الطّبِيعَةِ وَلا قُوّةَ إِلّا بِالله.

[رسالة الحقوق]